# ماهيّة الحكمة

حيدر فيض الله



مؤسسة البقاء

# ماهية الحكمة

حيدر فيض الله






حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م




للطباعة والنشر والتوزيع

موبايل: 9613610693+ Email :albaqer.ppd@hotmail.com

# الحكمة القرآنية
# بين النّظريّة التجريديّة والسّلوك العملي

حيدر حبّ الله

يعرف المتابعون لتطـور اللغّة وظهور المصطلح أنّ الكثير من الكلـمات والمفردات تطرأ عليها التحـوّلات عبر التّاريـخ، ويتّخذ البشر وغيرهـم منها موادّ لفظيّـة لكن يحمّلوا عليهـا أو يخزنوها بمعنى آخر مختلف.

**والتطوّر الذي يحصل في اللّغة من حيث المفردة قد يتّخذ لنفسه أشكالاً:**

١- أن يزول المعنى السابق بكلمة وكلّ ما يرتبط به تماماً من الوعي البشري اللّغوي، ليصبح مجرّد مدلول تاريخي يدرسـه مؤرّخو اللغة ويتناولونه من زاوية كونه معنى تمّ اسـتخدام اللفظ فيه سـابقاً، وبزوال المعنى القديم للمفردة إما تهمل الكلمة تماماً ولا يعود لها اسـتخدام حتى بين أبناء اللغة أو تتخذ معنى جديداً قريباً أو بعيداً عن المعنى السـابق، بل قد يكون مبايناً له تماماً ويولد في مناخ مختلف عنه بالكلّية.

٢- أن لا يزول المعنى السـابق للكلمة، لكن يطرأ عليه تحوّل جزئي لا يفضي إلى هجرانه ونسـيانه. وأشـكال التحوّل الجزئي متعدّدة، فقد يكون تضييقاً لدائرة المعنى الأوّل، كأن يسـتعمل لفظٌ في معنى عام، ثم يظلّ على استعماله في هذا المعنى لكن مع فقد قدرٍ من عموميّته، ففي الحقيقة زال المعنى السابق بتمام خصوصياته لكنّه لم يتلاش في جزء من دلالاته.

وفي بعض الأحيان يكون التحوّل الجزئي إليه معكوساً، فيكون اللفظ دالًّا على معنى له مساحة محدّدة، فيأتي التّحول اللغوي ويبقيه على معناه السّـابق مع توسعة له في مساحته، فبدل أن يدلّ على معنى ضيّق يصبح دالاً على معنى واسع مع الحفاظ على أصل المعنى وعنصره المشترك.

٣- أن لا يزول المعنى السّابق للكلمة، لكن يظهر إلى جانبه معنى جديد، ويصبح المعنيان إلى جانب بعضهما بعضاً في الدلالة اللّغوية، وهذه أيضاً توجد حالات كثيرة لها نشير إلى بعضها:

أ - أن لا يكون ظهور المعنى الجديد مؤثراً على درجة حضور المعنى السّـابق في الاستخدام اللّغـوي، كأن يظهر مصطلـح في علمٍ من العلوم ثم يسـتخدم المصطلح نفسـه في علمٍ آخر، لكن بمعنى مختلف، ويحافظ المصطلحان على معناهما بشـكل تام ضمن سياقهما في هذا العلم أو ذاك، وهذا مثل كلمة «الحجيّة» فإنّها تسـتعمل في المنطق والفلسـفة بمعنى مغاير لاستعمالها في علم أصول الفقه مثلاً.

ب - أن يكـون ظهور المعنـى الجديد مؤثراً على درجة حضور المعنى السّـابق في الاسـتخدام اللّغوي، بحيث يضعف حضوره دون أن يزيله، ويسـبّب هذا الأمر عادةً حصول حالة انصراف ذهني لدى السّامعين - عندما يسمعون الكلمة - إلى المعنى الجديد أكثر منه إلى المعنى القديم، دون أن يغيب القديم من التّداول.

إنّ رصد تحوّلات اللّغة أمرٌ لا نهاية له، وقد حلّله علماء المنطق وعلماء أصول الفقه الإسلامي، كما درسه اللّغويون وفلاسفة اللّغة بتعمّق وجدّية منهم جميعاً.

**سـأحاول من خلال هذه المقدّمة الدّخول إلى الموضـوع الرّئيس**، وهو أن بعض الكلمات أخذت معانيها واسـتُخدمت في اللّغة الدّينية - الكتاب الكريم والسّـنّة الشريفة - بدلالاتها اللّغوية الأصليّة عند العرب أو بدلالة جديدة حفرتها لها النّصوص، كما حفرت هذه النّصوص الدّلالات الخاصّة التي نعرفها اليوم لكلمات مثل: الصّلاة، والصّوم، والحجّ، والزّيارة، والزكاة، والخمس، والجهاد وغيرها.

وبعد أن اسـتُخدمت هذه الكلمات في معانيها، ظهرت التّيارات الفكريّة في الثّقافة الإسلاميّة، وحـاول بعضها أن يتماهى مع مفردة قرآنيّـة هنا أو حديثيّة هناك، رأى فيهـا مضموناً جيّداً، فخلع المفردة على نفسه غير قاصد بذلك أحياناً ادّعاء أن المفردة جاءت فيه، لكن وبمرور الوقت ظهر من حاول أن يجعل نفسه هو المعنيّ بهذه المفردة لا غير، فحصل انقسام في الرّأي، وتمّ تبادل الاتهامات في ممارسة التّأويل غير الممنهج في التّعامل مع النصّ القرآني والحديثي.

**ولعلّـه يمكنني القـول بأنّ مصطلحات مـن أمثال: الحكمـة والعقل، تدخل في هذا السّـياق،** فإننا لو راجعنا الـدّلالات اللّغوية الخام، وحلّلنا العقل العربي من خلال تحليـل اللّغة العربيّة التّي تحكي عنه، لرأينا أنّ العقـل العربيّ يغلب فيه الجانب العمليّ والغـرضيّ، ويقلّ فيه الجانب النظريّ والتّجريديّ، ولو سرنا مع كتاب الله تعالى، لوجدنا أن الأمور التي طرحها عندما تكون نظريّة فهي تؤخذ عنده بوصفها جسراً لمسألة عمليّة.

ولا نقصد بذلك البُعد العملي الاجتماعي أو السّياسي أو.. فحسب، وإنّما (العمليّة والعملانيّة) التـي ترتبط قبـل كلّ شيء بالعلاقة مع الله تعـالى؛ لأن الارتباط بالله ليس مسـألة نظرية، فلم تأت النّبوّات لتخوض حرب أرقام في أن الله ١ أو ٢ أو ٣ أو ٤ أو أكثر، بل إنّ الوحدانيّة في قضيّة الدّين تعني التوكّل والاسـتعانة وربط كل الأمور به تعالى وكذلك تعني الصّبر والإحساس بالتّوحيدين: الأفعالي والعبادي، إن القضيّة هي قضيّة كل التّصرفات والمشـاعر والأحاسـيس، وليسـت المسألة مسـألة صراع على معلومة إضافيّة في أن الله واحد أو كثير، فليس المهم إدراك وحدانيّة الله فقط بل عيش هذه الوحدانية.

وهكذا الحال في مسـألة المعاد وقضاياها، فليسـت تقف عند حدود أن نعرف فقط أن القيامة قادمة أو هي باطن الدّنيا، بقدر ما المهمّ أن نعيش الآخرة في الرّوح والعمل، سواء العمل الجوانحي الدّاخلي أم الجوارحي الخارجي.

من هنا، نجد أنّ (الحكمة) في لغة العرب وصفٌ لإتقان الفعل وإحكامه، وإن (العقل) نحوٌ من المنع عن شيء، من هنا كان العقل والحكمة من مقولات الفعل والممارسة والسّلوك قبل أن يكونا من مقولات النّظر والتّأمّل اللّذين يقفان عند حدود التّفكير وترتيب المقدّمات وأخذ النتائج منها.

ووفقاً لذلك، لا نميل لمحاولات من يريد فهم المصطلح - المفردة القرآنية عبر إسقاط مفهوم حادثٍ عليها، فلم يرد الله تعالى بقوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة مريم، الآية: ٤٨]، الحديث عن مذهب المعتزلة أو مدحه، حتى نسوق القضيّة مساقاً مذهبيّاً أو فرقيّاً، كما لم يرد بقوله سبحانه: ﴿.. وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ..﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٩]، الانتصار لمذهب الفلاسفة العقليين، وإنما قصد المعنى العام المتصل بالدّلالة اللّغويّة والعرفيّة للكلمة، وهذا المعنى قد يستبطن المعنى الحادث في داخله وقد يكون مغايراً له، وربما كان مناقضاً له أحياناً، كما هو واضح.

والذي يعزّز أن الحكمة في القرآن الكريم تبرز في جانبها الرّوحي والعملي، أن الله تعالى قد ذكر في سورة الإسراء جملة وافرة من الأمور التّربويّة والأخلاقيّة والشرعيّة ومن الفرائض والمحرمّات، كعبادة الله وحده، والبر بالوالدين، والوفاء بالميزان، والصّدقة، وترك التّبذير، والقتل، والزّنا، والبخل، والإسراف، والتصرّف في مال اليتيم ظلماً... ومن ثم قال عزّ من قائل: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٩]، وهذا يعني أن جملة الفرائض والمحرّمات والأخلاقيات العمليّة والروحيّة هي التي يُطلق عليها الكتاب العزيز وصف الحكمة؛ لأنها تجعل الفعل الإنساني متقناً سليماً صائباً محكماً على صعيدي الرّوح والبدن، واللّفظ والمعنى، والظّاهر والباطن، والصّورة والمحتوى.

وقال تبارك وتعالى في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٢]، فإن الجملة التّالية لكلمة (الحكمة) في هذه الآية الكريمة وقعت موقع التّفسير لها، ومن الواضح أن الشّكر - بما هو فعل قولي وروحي وعقلي - يتّصف بالجانب السّلوكي أكثر من اتّصاله بالجانب الفكري الصّرف.

**لكن هل يعني ذلك عدم وجود الحكمة العقليّة - بما صار لها من معنى معاصر - في كتاب الله تعالى؟**

لقد سعى الفلاسفة الإسلاميون - لا سيما في المدرسة الصدرائية العريقة - لكي يستنطقوا النصوص الدينية؛ ليضعوها في سياق الحديث عن حقائق الفلسفة المتعالية، وقد وُفّقوا في أكثر من مكان للتّنبيه على نقاط في دلالات النّصوص لم يكن قد تنبّه لها العلماء من قبل، بل ولم تخطر على بالهم فيما أظنّ، لكن هناك وجهة نظر متواضعة - أميل شخصيّاً إليها - وهي ترى أن هناك فرقاً بين قيام المفاهيم القرآنية على النّظريات الفلسفيّة من جهة أولى، ودلالة هذه النّصوص والمفاهيم على تلك المقولات الفلسفية من جهة ثانية، فهذان أمران مختلفان، فالله خيرٌ وعدلٌ لا شرّ في ملكه

وسلطانه كما تقول النّصوص مثلاً، لكن تفسير عدم الشرّية بأنه راجع إلى عدميّة الشرّ، كما ذهب إليه بعض الفلاسفة، لا يعني أن الآيات دلّت على عدميّة الشرّ بما لهذا المصطلح من معنى فلسفي خاص وتخريج عقلي محدد، وإنّما دلّت على خيريّة الله تعالى وخلقه، ونحن وجدنا أن هذا المفهوم القرآني يمكن عَقْلَنَتُه واستيعابه في سياق نظريّة عدميّة الشرّ وخيريّة الوجود بشكل أفضل من عقلنته في سياق نظريّة: (إن ترك الخير الكثير من أجل شر قليل هو شر كثير).

من هنا، قد يكون العديد من النّظريات الفلسفيّة مساعداً على تبرير مضامين بعض النّصوص عقلانيّاً، لكنّ هذا لا يسمح لنا بتفسير النصوص وافتراض دلالتها على هذه النّظريات من غير طريقة الاقتضاء الدّلاليّة المعروفة عند علماء اللّغة وأصول الفقه، إلّا بضرب من التّأويل التّحكّمي أو التّطويع. وهذا خطأ وقع فيه الكثيرون، فاشتمال القرآن الكريم على نظريات الفلاسفة العقليّين يحتاج إلى إثباتات في الدّلالة، ولا يكفي فيه مجرّد صحّة هذه النّظريات وتشكيل هذه الصّحة بنيةً تحتيّة لعقلنة مفاد النصوص القرآنيّة والحديثيّة، لأن كونها بنية تحتيّة لا يعني أن القرآن العزيز قد تحدّث عنها، حتى لا نقع في استخدام أساليب ليّ عنق النّصوص وتطويعها أو التّلاعب بها، وإنّما يقدّم ذلك بوصفه افتراضاً مضافاً من قبلنا.

وعلى أيّة حال، فنحن بحاجة إلى الحكمة العمليّة - الباطنيّة والظاهريّة - وبعض العقول الدّينيّة قد تكون بارعةً في الحكمة النّظريّة ولديها عقل نظري، لكن عقلها العملي ضعيف، والعكس هو الصحيح، فنحن بحاجة لجماع العقلين النّظري والعملي كي ننهض ونستوي متوازنين إن شاء الله تعالى.

وختاماً فقد اطّلعت على كتاب أخينا العزيز صاحب الفضيلة الشيخ حيدر فيض الله حفظه الله تعالى ورعاه والموسوم «ماهية الحكمة»، فاستفدت منه، ورأيت فيه اهتماماً بالغاً بالحكمة ببعدها الرّوحي والأخلاقي، ولمست فيه حسّاً قرآنيّاً وتفسيريّاً تربويّاً، كما لمحت فيه دعوةً للألفة والتّقارب والتّواد بين مكوّنات المجتمع الإسلامي الكبير، مما يدل على وعيٍ بحاجاتنا الحاضرة على المستوى الأخلاقي والروحي. إنني إذ أشكر المؤلّف الكريم على جهده الطيّب هذا، اسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقه لكل خير وينفع به المسلمين، ويقوّي به أمر الدّين، وينشر به الوعي والبصيرة، إنّه قريب مجيب، وإنّه على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

**حيدر محمّد كامل حبّ الله**

**١-٦-١٤٣٣هـ**

**٢٣-٤-٢٠١٢م**

**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطن اللعين الرجيم**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على الشاهد المبشِّر النذير، والدّاعي اليك بإذنك والسِّراج المنير، الذي هو على خلقٍ عظيم كما شهدت له بذلك في كتابك الكريم. وعلى نفسه كما صرّحت بذلك في القرآن الكريم، الذي نزل فيه قولك ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، الذي بولايته أكملت الدين وأتممت النعمة ورضيت بالإسلام دينا. وعلى بضعته سيدة نساء العالمين والذرية الطاهرة الذين جعلتهم أهل بيته الطيبين، والذين جعلت مودّتهم السبيل اليك وطهرتهم تطهيراً.

والحمد لله رب العالمين.

# مقدمة المؤلف

في الكافي الشريف عن أَبِي عَلِيٍّ الأَشْعَرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى جَمِيعاً عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا سَرَّاجٍ وَكَانَ خَادِماً لأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام فِي حَاجَةٍ وَهُوَ بِالْحِيرَةِ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فِيهَا ثُمَّ رَجَعْنَا مُغْتَمِّينَ

قَالَ: وَكَانَ فِرَاشِي فِي الْحَائِرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ نُزُولاً فَجِئْتُ وَأَنَا بِحَالٍ فَرَمَيْتُ بِنَفْسِي فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا أَنَا بِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَدْ أَقْبَلَ. قَالَ: فَقَالَ: «**قَدْ أَتَيْنَاكَ أَوْ قَالَ جِئْنَاكَ**».

فَاسْتَوَيْتُ جَالِساً وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِ فِرَاشِي فَسَأَلَنِي عَمَّا بَعَثَنِي لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَحَمِدَ اللهَ ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ قَوْمٍ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّا نَبْرَأُ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ لا يَقُولُونَ مَا نَقُولُ.

قَالَ: فَقَالَ: «**يَتَوَلَّوْنَا وَلا يَقُولُونَ مَا تَقُولُونَ تَبْرَءُونَ مِنْهُمْ**».

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ

قَالَ: «**فَهُوَ ذَا عِنْدَنَا مَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَبْرَأَ مِنْكُمْ**».

قَالَ: قُلْتُ: لا جُعِلْتُ فِدَاكَ

قَالَ: «**وَهُوَ ذَا عِنْدَ اللهِ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا أَ فَتَرَاهُ اطَّرَحَنَا**».

قَالَ: قُلْتُ: لا وَاللهِ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا نَفْعَلُ.

قَالَ: «فَتَوَلَّوْهُمْ وَلا تَبَرَّءُوا مِنْهُمْ إِنَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَهُ سَهْمٌ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَهْمَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلاثَةُ أَسْهُمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ خَمْسَةُ أَسْهُمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سِتَّةُ أَسْهُمٍ وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ سَبْعَةُ أَسْهُمٍ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ صَاحِبُ السَّهْمِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السَّهْمَيْنِ وَلا صَاحِبُ السَّهْمَيْنِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الثَّلاثَةِ وَلا صَاحِبُ الثَّلاثَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الأَرْبَعَةِ وَلا صَاحِبُ الأَرْبَعَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ الْخُمْسَةِ وَلا صَاحِبُ الْخُمْسَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السِّتَّةِ وَلا صَاحِبُ السِّتَّةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ صَاحِبُ السَّبْعَةِ».

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى في خلقه أن يكون الناس درجات في علمهم وهمتهم وعزمهم وفهمهم ويكاد يكون مثل ذلك التفاوت في كل شيء، ولذلك لم يشترط سبحانه وتعالى الكمال في فكاك الرِّقاب من النّار أو في دخول الجنة، بل جعل للجنة أبوابا شتّى، وعوضاً عن ذلك جعل الجنة درجات فمن لم يستحق الفردوس الأعلى يمكنه بالكاد أن يدخلها، ومن زحزح عن النار فقد فاز، وجعل النّار دركات فمن لم يتفضل الله تبارك وتعالى عليه بالجنة فليس من الضروري أن يكون في قرار الجحيم ومن كان موئله النار فقد خسر خسراناً مبيناً والعياذ بالله.

والملاحظ في المجتمعات الإنسانية عموما والمسلمة خاصة في هذا العصر ارتفاع مستوى الثقافة، وذلك لسهولة ويسر تحصيل العلوم من خلال مختلف وسائل التكنولوجيا الحديثة من انترنت وتلفزيون وقنوات فضائية وكتب ومجلات والكثير من الوسائل المتقدمة فضلاً عن سهولة التنقل والانتقال لطلب العلم. ومع توسع مدارك الناس نجد ازديادا في السواد في الحجاج والزوار والمساجد والحسينيات والمعاهد. فها نحن نشهد ازديادا مطّردا في عدد الحجاج حتى بلغ الملايين، وتكاد لا تشهد امكانية لتقبيل الحجر الأسود بيسر طوال السنة لكثرة المعتمرين. كما نلحظ

ازديادا مطّرداً في أعداد الزوّار. وقد تجاوز زوار سيد الشهداء (سلام الله عليه) في مناسبة واحدة الملايين من مختلف أقطار الأرض. ناهيك عن بقية أيام السنة والتي لا تخلو فيها المراقد المقدسة (سلام الله على ساكنيها). ولو طفت ببلاد الإسلام وغير بلاد الإسلام لوجدت عددا من المساجد لا يستهان به، مع ملاحظة الإهتمام بجمالها وزخرفتها مما يملأ العين ويدل على صرف مبالغ كبيرة عليها.

ومع كل هذا فلا زال المسلمون كغثاء السيل كما ورد عن سيد الخلائق ﷺ ويزداد تشتتهم في الإتجاهات الفكرية والأهواء النفسية والقناعات والنزاعات وغير ذلك من الأمور التي لا تخفى على أحد. والغريب أننا كلما لاحظنا زيادة المعرفة في مسائل الشريعة والدين في مجتمع من المجتمعات لاحظنا فيهم كثرة الفرق والشيع والشتات بدل الإجتماع على الكلمة. فالمفترض أن زيادة الثقافة الدينية تجمع الناس لا تفرقهم، فكيف ذلك؟

ثم إن المفترض أن زيادة معرفة الناس بدينهم تقربهم من بعضهم البعض وأن تؤلف بين قلوبهم بإذن الله تعالى وتوفيقه فهو الذي يؤلف القلوب سبحانه وتعالى، لا أن تتسبب في زيادة تفرقهم وتشتتهم. وهل هناك دعوة تقريب أشدّ وأكرم من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

هذا مع غير المسلمين من أهل الكتاب، فما بالك مع المسلمين، ثم ما بالك في موالي أهل البيت بين بعضهم البعض. ولقد ورد عن رسول الله وأئمة الهدى من

---

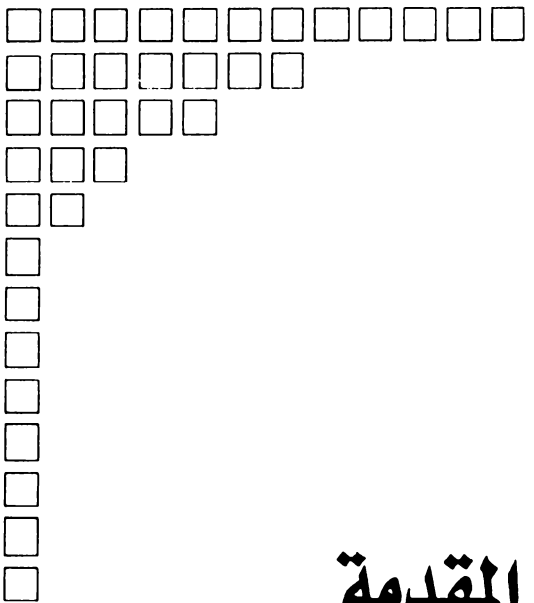
(١) آل عمران: ٦٤.

أهل البيت الكثير الكثير من الروايات التي تتحدث عن حقوق المؤمنين بين بعضهم البعض حتى أن بعضها ينص على أن المؤمن أخو المؤمن شقيقه من أمه وأبيه كما في حديث الصادق عليه السلام عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ: تَقَبَّضْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ رُبَّمَا حَزِنْتُ مِنْ غَيْرِ مُصِيبَةٍ تُصِيبُنِي أَوْ أَمْرٍ يَنْزِلُ بِي حَتَّى يَعْرِفَ ذَلِكَ أَهْلِي فِي وَجْهِي وَصَدِيقِي فَقَالَ: «**نَعَمْ يَا جَابِرُ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ طِينَةِ الْجِنَانِ وَأَجْرَى فِيهِمْ مِنْ رِيحِ رُوحِهِ فَلِذَلِكَ الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ فَإِذَا أَصَابَ رُوحاً مِنْ تِلْكَ الأَرْوَاحِ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ حُزْنٌ حَزِنَتْ هَذِهِ لأَنَّهَا مِنْهَا**».

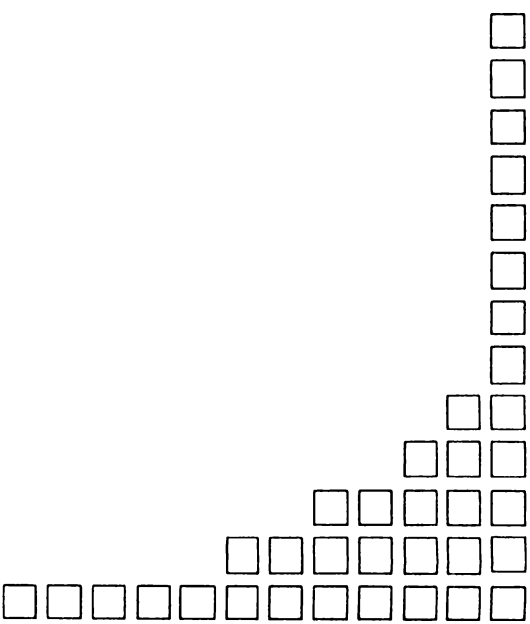
ونعتقد أن لأثر الخطاب بين الناس دور كبير في توجيه القلوب. وعامة الناس لديهم الكثير من الشواغل في أمورهم المعاشية وليس في إمكانهم توفير مساحة كبيرة في همومهم وتفكيرهم للأمور الدينية، ولذا فإن كان الخطاب بين الناس منصباً بالحكمة إلى الحكمة فقد يكون له الكثير من الأثر في تغيير الواقع إلى الأفضل.

ولقد تعددت المشارب والقناعات بين الناس وبين المبلغين والدعاة وهو أمر لا شك أنه يثري المعرفة ويزيد في عمق الفكر، ولكن حاجة النّاس والأمة إلى الحكمة أولى بالرعاية فبناء مباني المعرفة على قواعد متينة وأساس ثابت يؤتي أفضل الثمار. كما أن أهم ما ينبغي أن يشغل الإنسان في حياته هو الفوز بالرضوان من الملك العلاّم تبارك وتعالى والنجاة من النار وفي هذا فليتنافس المتنافسون.

وفي هذه الوريقات نحاول أن نتناول موضوع الحكمة بنظرة قرآنية لإعادة توجيه الذهن إلى ما يمكن أن يكون له دور في نفس الإنسان وثقافته من كلا الجهتين، جهة ما ينبغي للإنسان المسلم الإلتفات إليه وبناء كيانه الروحي به ومن جهة أخرى ما ينبغي أن يكون عليه خطاب المبلغين والدعاة.



# المقدمة



# المقدمة

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. إن هذه الآية المباركة قد ذكرت ثلاث مهامّ انتدبت لها رسول الله صلى الله عليه وآله في أُمته، وهي:

١ـ التلاوة.

٢ـ التزكية.

٣ـ التعليم.

ثم قسمت التعليم إلى ثلاثة أقسام هي:

١ـ تعليم الناس الكتاب.

٢ـ تعليمهم الحكمة.

٣ـ تعليمهم ما لا يعلمون.

فتكون هذه الآية الكريمة بذلك قد أناطت برسول الله صلى الله عليه وآله خمس مهامّ، بعضها واضح من خلال تدبّر الآية المباركة، وبعضها الآخر يحتاج إلى البحث فيه لنتعرّف على المراد منه، وذلك وفق السياق التالي:

## أولاً: تلاوة الآيات

فأمّا قوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾، فذلك فيه ظهور على أنّ المراد منها هي

---

(١) البقرة ١٥١.

آيات القرآن الكريم المباركة، والتي كانﷺ هو المبلّغ عنها، وهو من أوصى بتعاهدها وتدبّر معانيها كما لا يخفى؛ سواء بما روي عنهﷺ، أو بآيات قرآنية هي ذاتها تدعو إلى التلاوة والتدبّر. والحديث حول المراد من التلاوة لا يخلو من معانٍ متعددة كما هو شأن كل كتاب الله المجيد. وقد قيل فيه: «**إن له بطناً إلى سبعة أو سبعين بطناً**». أو كما قيل: «**إن القرآن الكريم بِكرٌ لم يفضّ، ولن يفضّ حتّى تقوم الساعة، ولا يعلم تأويله إلّا الله، ومن أودع فيهم سبحانه وتعالى أسراره**». ولكن حيث أننا قد أُمرنا باتّباع الظاهر، فالمراد من ظاهر كلمة التلاوة: قراءته كلمة بعد كلمة، أو حرفاً بعد حرف، أو آية بعد آية بتروٍّ وتمعّنٍ.

ولا شبهة أن تلاوة الآيات وإن كان بذاته عبادة وطاعة، فإن كلامه مليء بأمهات العلوم التي يحتاج إليها الإنسان من عقيدة وتاريخ وتربية وتزكية وحكمة ومعرفة وتنزيل من تنزيل وفقه وأحكام وشرايع وقل ما شئت. ثم لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة من خلال تجارب مادية وجود آثار تكوينية لتلاوة آيات القرآن الكريم الأمر الذي وإن كنّا نعتقد به جزما إلا أن التجارب المادية تجعل الكثير ممن انصبغت عقولهم بلوثة الإنحصار بالمحسوسات تتفتح مداركه ليعقل وجود ما يخفى على العقول.

## ثانياً: المراد من التزكية

و أمّا قوله تعالى: ﴿يُزَكِّيكُمْ﴾، فكذلك فيه ظهور لمعنى التطهّر والتزكية. ولقد كانﷺ يدأب في تأديب المسلمين وتهذيبهم وتربيتهم، ولولا تفضّل الله تبارك وتعالى بجعل أوصياءعليهم السلام له في أُمته، واعتقادنا بحياته وحياتهم، وسريان أثرهم في الأُمة، لكنّا انقطعنا عن هذا الفضل والكرم والمنّة التي منّ بها سبحانه علينا، وكنّا

كالأُمم السابقة. ولكنه سبحانه إذ جعله ﷺ رحمةً للعالمين، جعل رحمته ﷺ ممتدّةً في أُمّته من بعد مدة حياته الدنيوية حتى يرث جلّ شأنه الأرض ومن عليها.

ولا شبهة أن رسالة التزكية ممتدةٌ في حاملي علوم أهل البيت عليهم السلام من العلماء والأولياء، ولقد جعل الله تبارك وتعالى الجهاد الأكبر جهاد النفس مع جلالة قدر جهاد القتال، والواضح أن جهاد النفس وإن كان من آثاره التزام المؤمن بالشرايع خارجاً، إلا أن جهته الحقيقية هي النفس البشرية وتطهيرها من معايب الهوى والشيطان وحب الدنيا وذلك الذي يورث المؤمن ما يعصمه عن المعصية والخروج عن الصراط المستقيم.

## ثالثاً: المراد من تعليم الكتاب

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾، فإذا علمنا أن تلاوة الآيات ذكرت منفصلةً عن تعليم الكتاب، استطعنا أن نفهم أن الظاهر من مراد الله تبارك وتعالى بالكتاب ليس الأوراق والصحف والجلد الذي يحتوي هذه الآيات أي المصحف، ولقد استعملت كلمة «كتَبَ» بمعنى «أَمَرَ» في كتاب الله العزيز بنحو أعم من التشريعي والتكويني، ولكن في باب التعليم فإن المعنى التشريعي قد يكون الأقرب من حيث أن الأمر التكويني يُخبر عنه ولذا ففي الآية ظهور أن المراد منه: ما كتبه الله تعالى علينا من أمر ونهي، وتكليف، وحقوق وواجبات. وذلك بالنظر والتأمّل في آية القصاص وغيرها كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

---

(١) البقرة ١٨٣.

## رابعاً: معنى قوله تعالى: ﴿ما لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾

أمّا قوله تعالى: ﴿ما لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾، فالظاهر أن هذا القول يعني أن من الأُمور التي علّمنا رسول الله ﷺ أُموراً نعلمها، وأُموراً لا نعلمها. ولكن هذا الكلام قد يحمل أوجهاً ينبغي البحث فيها وتدبّر معانيها؛ لعل الله تبارك وتعالى يتفضل علينا بفتح أبواب الفهم حولها. ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لمن منع، وهو العليم الخبير.

و بالجملة، فالدلالة في الآية واضحة على أن النبي ﷺ في تعليمه للأُمة وإن كان قد أتى بعلوم جديدة إلّا إنه لم يغفل تذكرتهم بما ينفعهم مما يعلمونه. وسوف نتعرض أثناء البحث إن شاء الله لما يمكن أن يكون المراد في سياق البحث في دلالات الآيات التي تتعرض للحكمة في كتاب الله المجيد.

## خامساً: تعليم الحكمة

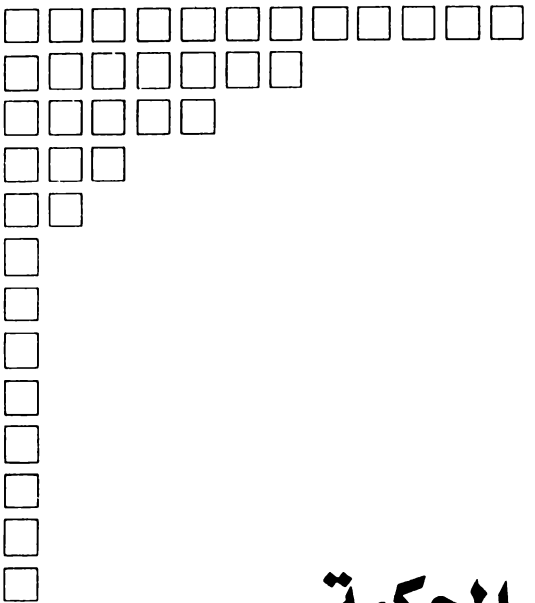
والمفترض من التسلسل أن تكون الحكمة رابعاً وليس خامساً ولكن جعلناها كذلك لكونها موضوع بحثنا في هذه الوريقات. وإذ كانت الحكمة من هذه الأركان الخمسة كان اللازم معرفة المراد منها كما أرادها الله تبارك وتعالى. وذلك لما ينبّهنا إلى أهميتها كونها جزءاً من رسالته ﷺ. إذ أفرد لها الله تبارك وتعالى ذكراً خاصّاً في الآيات التي تحدثت عن عمله ﷺ في الأمة. ولا يخفى أن مثل هذا البيان من المولى سبحانه يقتضي الاهتمام والتوجّه إلى فهم مراده منها وإلى معرفته.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن ينعم علينا بأذن واعية، وقلوب قابلة، وعقول عاقلة؛ حتى تتفتح لنا أبواب الفهم والفقه. اللهم أرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتباعه، والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، أنت المولى وأنت المنعم وأنت على كل شيءٍ قدير.

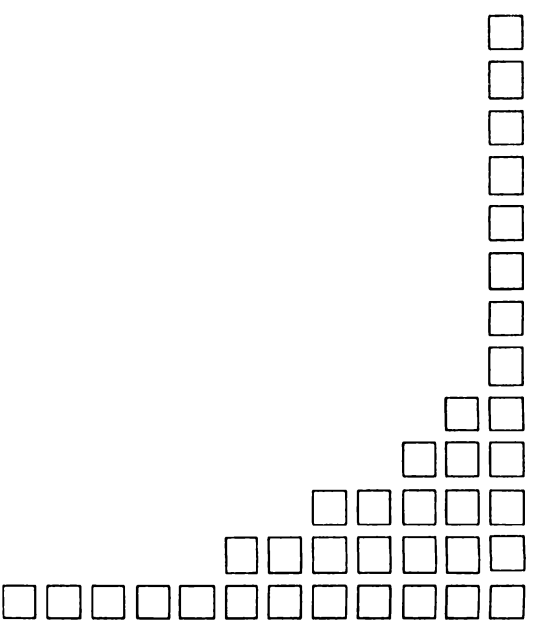
اللهم واغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وزيِّن الإيمان في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

سبحانك اللهم لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، ونشهد أنّ سيدنا محمداً عبدك ورسولك أرسلته بالهدى ودين الحق، وأن أوصياءه علياً وبنيه هم الخلفاء الراشدون، وهم حجتك على خلقك، وأدلّاء خلقك إليك، فتقبل أعمالنا، واغفر ذنوبنا، واجعلنا ممن تنتصر بهم لدينك بين يدي وليك الهادي المهدي عجل الله فرجه إنك قريب مجيب.

والحمد لله رب العالمين.



# الحكمة



# الحكمة

الحكمة كلمة تطلق ويدور معناها حول نفسه، يستشف منه المستمع ما يسكن إليه، فيستخدمها الكثير من الناس في حديثهم اليومي بمعانٍ متعددة، ومناسبات مختلفة. فما معنى هذه الكلمة؟ وما المراد منها؟

يقول المناطقة في تقسيماتهم للألفاظ: إن اللفظ ينقسم من حيث دلالته إلى:

**مختص**، وهو الذي لا يفيد إلّا معنىً بذاته.

**ومشترك**، وهو الذي يكون له أكثر من معنى.

ثم إن اللفظ قد يكون:

**مرتجلاً** وهو الذي يقصد به الدلالة على شيء بذاته دون لحاظ معناه اللغوي سواءا كان له معنىً أو لم يكن، كأسماء الأعلام.

**أو مجازاً** يقصد منه معنىً مجازياً غير معناه اللفظي.

**أو منقولاً**، وهو الذي يقصد منه اللفظ الذي كان يحمل معنىً ثم بمرور الزمان انتقلت دلالته إلى معنىً غير معناه السابق، كالصلاة إذ كانت تعني سابقاً مطلق الدعاء، وبعد رسالة نبينا الخاتم ﷺ انتقل معناها إلى خصوص الفريضة المباركة التي أوجبها الله تبارك وتعالى علينا.

ثم إن دلالة اللفظ على المعنى قد تكون:

**تعيينية** وهي التي يقصد منها اللفظ الذي تم تعيين معناه من قبل معيِّن.

أوتعيُّنية وهو اللفظ الذي تعيّن معناه عبر الزمن من غير تعيين أحدٍ بعينه.

ونحن لسنا هنا بصدد شرح مطالب المناطقة، ولكن الضرورة اقتضت بيان ذلك لما سنبني كلامنا عليه خلال الحديث عن دلالة الحكمة ومعناها.

أما من جهة اللغة فقد ورد في المختار الصحاح: «الحكمة من العلم، والحكيم: إلعالم وصاحب الحكمة، والحكيم أيضاً: إلمتقن للأمور»[1]. ولكن المتعارف عليه بين الناس، والمتّفق عليه بينهم أن الحكمة ليست مرادفة للعلم؛ فالعالم قد يكون عالماً دون أن يكون حكيماً.

والذي نجده في واقع استعمالات الناس أن كلمة الحكيم استعملت على عدة أوجه، منها:

١ـ الطبيب الذي يعالج أمراض الناس بإتقانه التعرف على علة المرض بالنظر إلى أعراضه، ومن ثم التعرف على الدواء اللازم للشفاء من هذا المرض. وبمعنى آخر: الحكيم هو العالم بقانون المرض وعلاجه حسبما أوجده المولى سبحانه وتعالى، والمتقن للتوفيق بين أطراف ذينك العلمين، أي بين أعراض المرض والعلاج المناسب له.

٢ـ المدبّر الذي يرجع إليه الناس فيما يتحيرون فيه، فيتقن خلال فهمه للأمور إيجاد الحلول المناسبة لما احتاروا فيه. وبتعبير آخر: العالم بقانون تفكير الناس، وأحوالهم، وإيجاد الحلول المناسبة، ويتقن التوفيق بين أطراف ذينك العلمين أي بين فهم المشكلة والحلول المناسبة لها.

٣ـ الفيلسوف، وهذا المعنى هو المستعمل بين أهل العلم وطلبته. وبهذا المعنى

---

(١) مختار الصحاح: ١٤٨ ـ حكم.

فهو العالم بدقائق المشكلات العقلية في فهم الوجود والحلول العقلية واللفظية المناسبة لهذه المشكلات. وبتعبير آخر: هو العالم بدقائق المفاهيم الذهنية للوجود، والحلول اللفظية المناسبة لها، والمتقن للتوفيق بين أطراف هذين العلمين، وإيجاد الدلائل والبراهين المناسبة لهما.

هذه هي المعاني المتداولة بين الناس للفظ الحكيم، والملاحظ في هذه التعريفات الثلاثة التي ذكرناها أمور أحببنا الإشارة إليها:

أن لفظ الحكيم ليس لفظاً مختصاً، بل إنه مشترك، فكما أنه أطلق على الطبيب فقد أطلق على الفيلسوف، كما أنه أطلق على الراعي المدبِّر العاقل.

أن لفظ الحكيم مع أنه مشترك من جهة، إلّا إنّه ناظر إلى هذه الأصناف الثلاثة من حيثية معينة، وهي حيثية التوفيق بين أطراف العلوم، وليس العلم فحسب.

أن حيثية التوفيق المذكورة في الملاحظة الثانية ليست مختصة بهذه الأصناف الثلاثة، بل هي موجودة في معظم العلوم إن لم نقل جميعها. فما هو العنصر المشترك الذي جعل لفظ الحكيم يطلق على هذه الأصناف دون غيرها؟

إذا كانت هذه هي معاني الحكيم، فما الذي يراد من لفظ الحكمة؟ الذي نجده في المتداول أن الحكمة تطلق ويراد بها الفلسفة والإلهيات، وكذلك يمكن أن تطلق ويراد بها حسن التدبير والتصرف السليم، ولكننا قليلاً نجد أن المراد منها الطب.

وهذه الملاحظات تحتاج إلى بعض التأمل، وينبغي للإنسان المسلم وخاصة الواقف في مقام التبليغ والإرشاد التوقف عندها ملياً ليستعرض في ذهنه ما هو المطلوب منه وما هو المراد.

وبالنظر إلى هذه التعريفات والملاحظات فسوف تتوارد في أذهاننا صور عديدة لمصاديق الحكمة. ومع ملاحظة مجيئها في كتاب الله العزيز في مواضع كثيرة، فمن

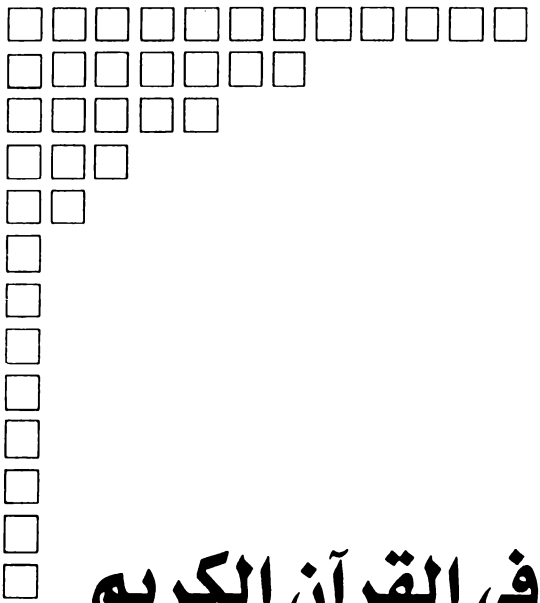
الضروري الذي لابدّ منه أن يعرف الإنسان المراد من الحكمة ابتداء من خلال التدبُّر في كتاب الله المجيد، ومن ثمَّ الانطلاق منه.

في الوهلة الأولى ينقدح في الذهن سؤال هو: هل إن هذه المعاني أو التعريفات المذكورة هي التي يشير إليها الله تبارك وتعالى حينما يذكر كلمة الحكمة في القرآن المجيد، أم أن هناك معنىً تعيينياً آخر هو المراد من خلال هذا اللفظ؟ ثم إنه لو لم يكن أحد هذه المعاني هو المقصود في القرآن، فلماذا لم يتسبب التعيين القرآني لمعنى هذا اللفظ في أن يصبح منقولاً إلى المعنى التعييني، في حين أن هذه المعاني لا زالت مستعملة بين الناس؟

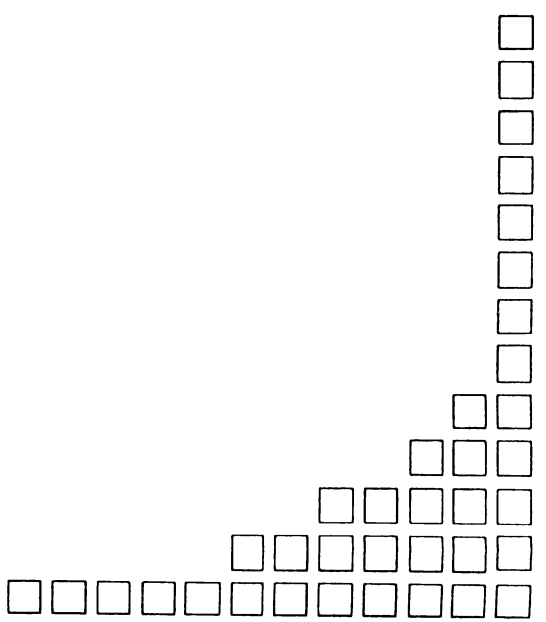
أما أهم ما نلاحظه اليوم فهو أن الذي ثبت بين الناس هو المعنى الثاني والثالث، أما الأول ـ بمعنى الطبيب ـ فيكاد يختفي إلّا من بعض أنحاء متفرقة من البلاد العربية، أما بين أهل العلم فيكاد يكون المعنى الثالث وهو الفيلسوف هو المجزوم به، فلا يطلق هذا اللفظ بينهم إلّا ويراد منه هذا المعنى.

ونحن نسعى من خلال هذه الوريقات القليلة إلى أن نثبت قطعاً أن كلام الله العزيز قد أثبت للحكمة وجهاً غير هذا المعنى الثالث. ثم إنه لابدّ من الإشارة إلى أنه لم يأتِ في القرآن الكريم ما يدخل هذا المعنى ضمن ما يراد به هذا اللفظ، وإن كان «الإمكان أعمّ من الاستعمال». ولكن حينئذٍ يصبح لدينا قدر متيقن للإرادة الجدية من المعنى المراد في استعماله، الأمر الذي يمنع قبول أي وجه آخر لتفسير المقصود من الحكمة في القرآن الكريم.

كما أن الحكمة المرادة في كتاب الله العزيز لها وجوه بيِّنة نص عليها، ووجوه أخرى يستدل عليها من خلال السياق القرآني. وهذه الوجوه ينبغي تعلّمها وليس الاطلاع عليها فحسب وتعليمها، شأنها شأن بقية العلوم الدينية.



# الحكمة في القرآن الكريم



# الحكمة في القرآن الكريم

ذكرت كلمة الحكمة في كتاب الله العزيز في مواضع عدة، ونستعرض هنا جميع هذه الآيات المباركة التي تحدثت عنها لتخطّ لنا خط السير في البحث؛ لعلنا نستطيع أن نستشف من خلالها المراد الحقيقي لهذه الكلمة؛ ذلك أن ذكرها في مواضع عدة بعنوان وظائف رسول الله ﷺ يقتضي ضرورة البحث فيها ومعرفتها ومعرفة جوانبها وأطرافها. ولتيسير متابعتها في القرآن الكريم لمن أراد أن يستدل على سياق الآيات التي وردت فيها، سردناها حسب ترتيب وضعها في المصحف الشريف:

١ـ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[1].

في هذه الآية المباركة ذكرٌ لدعوة نبي الله إبراهيم الخليل (عليه وعلى نبينا وأهل بيته أشرف الصلاة والتسليم)، وهو دعاؤه عليه السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2].

---

(١) البقرة: ١٢٩.

(٢) البقرة: ١٢٧ ـ ١٣٠.

كما هو الظاهر من الآيات أن هذا دعاء إبراهيم عليه السلام لله تبارك وتعالى لجعْل أمة مسلمة من ذريته، ودعاؤه لله تبارك وتعالى أن يبعث فيها رسولاً يتلو عليهم آياته تبارك وتعالى، ويعلمهم الكتاب والحكمة. والذي نفهمه من هذه الآيات أهمية تعلم الحكمة ليس فقط للنخبة من الأمة، ولكن لعامة الأمة. والواضح من ذلك أنه علم بذاته مطلوب تحصيله.

وعدم تصريح الآيات بمطلوبية تحصيله من قبل المسلمين لا يعني ذلك، حيث إن تحصيله لو لم يكن مطلوباً ما كان تعليمه مطلوباً، ولكن حيث إن عامة الناس ليسوا متفرغين لذلك، فإذا قام البعض بتحصيله وإتقانه واستطاعوا أن يبثوه في الناس حسب الظروف المتاحة والإمكانات المتوفرة، فهو.

وحيثية إن ذلك من دعاء إبراهيم عليه السلام إن كانت لا تفي بإثبات هذه المطلوبية فإن الآيات الأخرى التي تشير إلى هذا المطلب كثيرة ويكفي قوله تعالى في الآية اللاحقة ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[1]. وهذه الآية المباركة لا تؤكد هذا المطلب فقط، ولكنها تسم المُعْرض عنه بالذي يجعل نفسه سفيهاً.

٢ـ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

هذه الآية المباركة تقرر أن رسول الله صلى الله عليه وآله يعلِّم الحكمة لهذه الأمة، فلقد أرسله الله تبارك بأمور، ومن هذه الأمور تعليم الحكمة. والله تبارك وتعالى يشهد هنا لرسوله صلى الله عليه وآله بالقيام بذلك. ونفهم منها أن حديثه صلى الله عليه وآله يتضمن ويشتمل على مطالب الحكمة، وقد قام هو ببيانها؛ فعلينا إذن أن نبحث عن الحكمة في

---

(١) البقرة: ١٣١.

كلماته ﷺ وحديثه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ بعد ذكر تعليم الكتاب والحكمة، قد يفيد مفهوماً أن الكتاب والحكمة ليسا من أفراد ﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ ، خاصةً إذا لاحظنا العطف بالواو وإعادة ذكر ﴿يُعَلِّمُكُم﴾، ومع النظر فيه من جهة أن الله تبارك وتعالى لم يخلق الإنسان صفراً ولكن أودع فيه الفطرة. ففرخ الحمامة بما أنه مفطور على الطيران، فإن تعليم أمِّه له يبقى ليس إلّا من باب تذكيره بما يعلمه. وكذلك الكتاب والحكمة فإنه مودع في فطرة الإنسان، والتّعليم يذكِّره بما يعلم، والذي يؤيد هذه الدَّعوى كثرة ذكر الله تبارك وتعالى لكلمة التذّكر في كتابه المجيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3].

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4] فهو يتحدث عن حالة الوليد، لا عن المودع في فطرته والذي يمكن فهمه في الجمع بين المعنيين كما ذكرنا أنَّ الله قد أودع في فطرة الإنسان علماً لا يتذكره إلّا بالتعلّم والتذكّر.

ويأتي السؤال هنا: إذن ما هو العلم المقصود بالذي لم نكن نعلمه؟ وبالرجوع إلى

---

(١) القصص: ٥١.

(٢) الدخان: ٥٨.

(٣) الزمر: ٢٧.

(٤) النحل: ٧٨.

كتاب الله نجده يقول: ﴿عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١] ويقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

ففي الآية الأولى إشارة إلى النشأة الأخرى التي لا نعلم عنها شيئاً، وفي الثانية والثالثة إشارة إلى المصلحة التي علمنا سبحانه فيها لم نكن نعلمها، وفي الثالثة أمرنا الله تبارك بذكره بالطريقة التي علّمنا ولم نكن نعلمها. فهذه أصناف ثلاثة.

**وبالجملة**، فإن المفهوم من منطوق الآيات أن هنالك علوماً لم تودع في فطرة الإنسان، والله تبارك وتعالى أكرم أمّة نبيه محمدﷺ بها، ومنها ما ذكر في هذه الآيات الكريمة. أمّا دلالة لفظ الكتاب فقد ذكرناه في المقدمة، ولعلّ الله تبارك وتعالى يبين لنا أن دعاء إبراهيمعليه السلام كان بتعليم الكتاب كما يعلمه هو، وتفضّلٍ منه سبحانه وتعالى، فكان أن منَّ على أمة الإسلام بأن زادها ممّا لم يكونوا يعلمون.

---

(١) الواقعة: ٦١.

(٢) البقرة: ٢١٦.

(٣) البقرة: ٢٣٢.

(٤) البقرة: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾[١].

وهذه الآية المباركة تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ...﴾، ويتضح من ذلك أن الحكمة المرادة قد وصلت مطالبها إلى المسلمين، فلولا ذلك ما أمرهم الله تبارك وتعالى بتذكّرها أو ذكرها على حد تعبير الآية، وهي زيادة في التأكيد على أنه ﷺ قد أوصل مطالب الحكمة لعامة المسلمين.

٤ـ ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء﴾[٢].

يذكر الله تبارك وتعالى هنا فيما آتاه نبيه داود عليه السلام، ونفهم من ذلك أهميتها، ومع ملاحظة أنه بعث عليه السلام في بني اسرائيل فإنه كان عندهم شرائع موسى عليه السلام والتي أنزلها الله تبارك وتعالى في التوراة ولذلك قد يكون هذا هو المراد في الاقتصار على ذكر الحكمة دون الكتاب.

٥ـ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٣].

هذه الآية وإن كانت في معرض بيان أن الله تبارك وتعالى يؤتي الحكمة، ولكن سبق أن شهد الله تبارك وتعالى أن رسول الله ﷺ علّم الحكمة لأمته. فقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ إذن ليس للتخصيص أو الشرط، بل لبيان عظمة نعمة الله تبارك وتعالى على هذه الأمة وفضله. فهذه الأمة قد أوتيت الحكمة في تعليم نبيها ﷺ، وهي خير كثير.

---

(١) البقرة: ٢٣١.

(٢) البقرة: ٢٥١.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

ويأتي السؤال هنا: لماذا إذن لا نجدها في حياة الناس الواقعية؟

والجواب: إنه مع أن الله تبارك وتعالى قد آتى هذه الأمة الحكمة بتعليم نبيها ﷺ، ولكن لا يذَّكَّر منهم إلّا إولو الألباب. وهذا يدلّنا على حقيقة كبرى ومهمة للغاية وهي أنها ـ أي الحكمة ـ مبذولة لجميع أفراد الأمة، وعدم لحاظها وتعلمها سفه منهم، أو تسفيه لأنفسهم، وكم من أمور جلية واضحة وضوح الشمس ما حجبها عن الناظر إلّا جلاؤها وغفلته.

٦ـ ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾[١].

إن الله تبارك وتعالى هو الذي آتى الحكمة لعيسى عليه السلام، ونفهم منها أنه سبحانه يؤتي الحكمة ـ كما بيّن ـ لمن يشاء.

٧ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾[٢].

الملاحظ أن جميع الأيات التي تشير إلى الحكمة تؤكد أن الله تبارك وتعالى هو الذي يؤتي الحكمة.

٨ ـ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣].

وفي هذه الآية الكريمة يقرر الله تبارك وتعالى أن النبي ﷺ يعلِّم المؤمنين الحكمة، وأنَّ هذه منَّة منه سبحانه على المؤمنين.

٩ـ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

---

(١) آل عمران: ٤٨.

(٢) آل عمران: ٨١.

(٣) آل عمران: ١٦٤.

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾[١].

١٠ـ ﴿وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[٢].

١١ـ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾[٣].

١٢ـ ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤].

في هذه الآية المباركة عدة أمور ينبغي ملاحظتها والتأمل فيها لسَعة دلالتها:

قد يتبادر إلى ذهن الإنسان أن الحكمة هنا غير الحكمة المشار إليها في بقية الآيات فيقول: إن الحكمة هنا هي الأسلوب، في حين أنها في الآيات الأخر هي ذاتها مطالب تتعلمها الأمة من رسول الله ﷺ.

ولكن هذا المدّعى ليس تاماً؛ وذلك من حيث إننا لو حلّلنا القضية وجدناها تنقسم إلى أجزاء ضرورية، وهي: الدّاعي (وهو رسول الله ﷺ)، والمدْعوّ (و هم الناس)، والمدْعوّ إليه (وهو سبيل الله)، والدعْوة. فإن قلنا: إن الحكمة هي الأسلوب، فأين الدعوة؟ ولكن الظاهر منها هو أن المراد بالحكمة هنا: ذات المطالب، فتكون هي الدعوة. أمّا الأسلوب، فهو الجدال الحسن. واصطلاحاً، فـ ﴿الْحِكْمَةِ﴾ هي المادة، و﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الهيئة. والكلام هنا مجمل، ولكن سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله من حيث إن الدعوة ينبغي أن تكون بالحكمة.

---

(١) النساء: ٥٤.

(٢) النساء: ١١٣.

(٣) المائدة: ١١٠.

(٤) النحل: ١٢٥.

فهذا يكشف لنا أنها قريبة من فهوم وقلوب عامة الناس، ولولا ذلك لما كان هذا الانبغاء، خاصة إذا لاحظنا أن المخاطبين بها هنا هم المدعوون إلى سبيل الله وهم طبيعي الناس وقد يكون أكثرهم عامتهم لا سيما غير المسلمين.

ب ـ ومن الواضح أن الدعوة إلى سبيل الله وإن كان المخاطب بها رسول صلى الله عليه وآله خاصة والأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام؛ باعتبار أنهم أبداله بالحق، إلّا أنها متوجهة إلى من يقوم مقام الدعوة عنهم كذلك، خاصة أولئك المشمولين بآية ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ...﴾. ومن هنا فلابدّ لهؤلاء من تعلمها بنحو الوجوب؛ إذ كيف يتسنّى لهم الدعوة إلى سبيل الله بها إن لم يتقنوها فضلاً عن أن يتعلموها؟ وعلى هذا فمن لم يتعلم الحكمة لا ينبغِ له التعرض للدعوة إلى سبيل الله إذ هي شرط أو شطر الدعوة.

١٣ـ ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً﴾[1].

تقول هذه الآية: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾، ويتضح هنا أن الآية تريد توضيح أنّ المذكور مطالب من الحكمة، وهي المشار إليها بكلمة ﴿ذَلِكَ﴾. وسنتعرض للتفصيل في بيان المشار إليه في كلمة ﴿ذلِك﴾ ضمن بيان موضوعات الحكمة إن شاء الله تعالى.

١٤ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2].

---

(١) الإسراء: ٣٩.

(٢) لقمان: ١٢.

أمّا هذه الآية فتقرر أن الله تبارك وتعالى آتى لقمان الحكمة، وتبني على هذا الإيتاء موضوعات سيتضح فيما بعد أنها كذلك ضمن موضوعات الحكمة إن شاء الله تعالى.

١٥ـ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾[١].

المخاطب في هذه الآية المباركة أزواج النبيﷺ، وبالنظر إلى أحوالهن، ولحاظ أمر المولى سبحانه وتعالى لهن بتذكّر الحكمة يتّضح جليا أن مطالب الحكمة قريبة من فهمهن وإدراكهن، وبالتالي من عامة الناس وإلاّ كان الأمر لغواً، جلّ الله تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

١٦ـ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٢].

هذه الآية المباركة تخبرنا أن الله تبارك وتعالى قد آتى عبده داود الحكمة، فالحكمة هنا أتته من الله سبحانه، أمّا عدم ذكر الكتاب فقد استظهرناه في الآية السابقة التي تتحدث عن داود عليه السلام.

١٧ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٣].

وهنا نكتة ظريفة في هذه الآية المباركة، وهي أن عيسى عليه السلام قد صرّح للناس أنه جاء بالحكمة، ومثل هذا التصريح لا نجده في موضع آخر في كتاب الله العزيز. ويستفاد من هذا التصريح أن الحكمة لفظ أراد له الله تبارك وتعالى معنىً بذاته ينطبق على ما جاء به عيسى عليه السلام قومه، والذي يتضح من خلال المعاني التي

---

(١) الأحزاب: ٣٤.

(٢) ص: ٢٠.

(٣) الزخرف: ٦٣.

استعرضناها في بداية الكلام أنه ليس أحد منها، ضرورة أن عامة الناس ليس لهم المكنة في فهم الدقائق العقلية، فإن لم يكن هذا المعنى هو المتداول بين الناس فما هو يا ترى؟

ثم إذا تعرفنا على هذا المعنى، أفليس من الواجب أن يتحول هذا اللفظ من كونه مشتركاً عاماً إلى منقول، ولا أقل يتضح هذا المعنى في أذهان الناس ليتعرفوا على مراد الله منهم من حيث ما ينبغي عليهم أن يتعلموه، ليصبح هذا المعنى ضمن المعاني المتبادرة إلى الأذهان؟

كما يجدر بالبيان في هذا الموضع أن عيسىعليه السلام قررت الآيات إيتاءه الكتاب والحكمة فما الذي جعله يقول: جئتكم بالحكمة دون ذكر الكتاب؟ ومع التأمل يتبين أن عيسىعليه السلام في خطابه هذا متوجه الى بني اسرائيل والذين يدّعون أن شرائع الله تبارك وتعالى عندهم في توراة موسىعليه السلام وما أجروا فيها من تعديلات (تحريفات). ولذا فإنه من الواضح في دعوة عيسىعليه السلام أنه كان سعيه فيهم حثيثا لإخراجهم من غفلة التعلق بالدنيا ولبثّ روح الزهد فيهم لينبههم إلى الرجوع إلى حقيقة الشرائع السماوية التي أتى بها موسىعليه السلام فإنها وإن بدت كذلك فإن الحكمة قد فقدت فيها، فكأن لسان حاله يقول: إنكم يا بني إسرائيل لو تخيلتم أن شرائع موسىعليه السلام تكفيكم فلقد جئتكم بالحكمة التي فقدتموها. وهذا الاستظهار وإن كان أقرب ما يكون ومع أنه استظهار فحسب، إلاّ أنّه هكذا كان واقع بني اسرائيل بلا شك. وإن لم يتمكن أحد من الاتفاق مع هذا الاستظهار إلاّ أنه من الواضح بمكان أن عيسىعليه السلام مع أنه جاء الى بني اسرائيل بالانجيل الاّ أن الله تبارك و تعالى في هذا الموضع ذكر قوله: جئتكم بالحكمة دون ذكر الكتاب.

١٨ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[١].

في هذه الآية المباركة يتضح أن الله تبارك وتعالى يشير إلى أن النبأ الذي فيه مزدجر هو حكمةٌ بالغةٌ.

١٩ـ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢].

في هذه الآية المباركة كذلك تأكيد من الله تبارك وتعالى على تعليم رسول الله ﷺ الحكمة لأمته كوظيفة أساسية تتضمن تلاوة آيات الله، والتزكية، وتعليم الكتاب، وتعليم الحكمة.

**والخلاصة** أن كتاب الله المجيد يؤكد أن الحكمة علم مبذول لجميع المسلمين بالجملة، وهو قريب من فهم وإدراك عامة الناس، كما أنه يؤكد أن إيتاءه وإن كان أصالة من الله تبارك وتعالى إلّا أن تعليمه وتعلّمه ضرورة. ومن هنا فالاستناد إلى قول النبي ﷺ: «**من أخلص لله أربعين صباحاً جرت الحكمة من قلبه على لسانه**» مراده أن تتمكّن الحكمة من جوارحه وجوانحه، لا مجرد علمه بها. ولا يخفى أن هذا نتاج تزكية مع وجود العلم.

ولكن قرب الحكمة من فهم وإدراك عامة الناس لا يعني أنها شاخصة لهم بحيث يمكن لهم أن يعقلوها بأنفسهم دون معلم، بل إنه لابدّ لها من معلم، ولابدّ من تعليم، وتعلمها فرع من تعلم العلوم الدينية التي يتعلمها الإنسان من رسول الله ﷺ، وأهل بيته الطاهرين ﷺ؛ باعتبارهم الامتداد الطبيعي له ـ كما تبين في

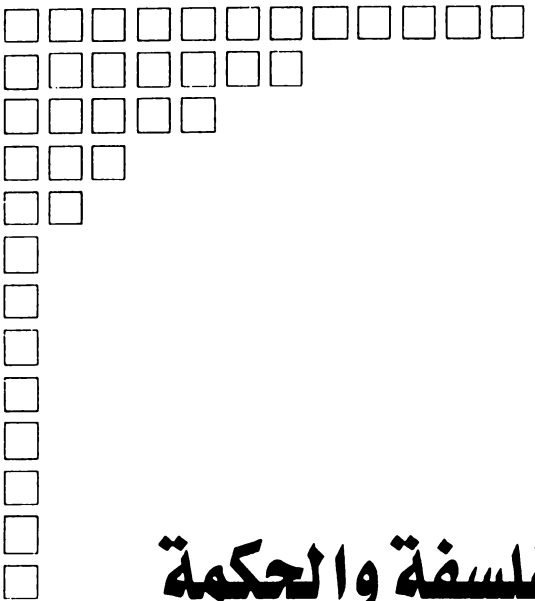
---

(١) القمر: ٤ ـ ٥.

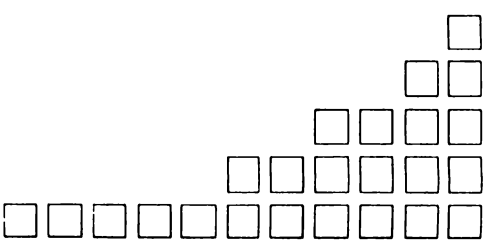
(٢) الجمعة: ٢.

محله ـ وفي ذات الوقت فرع لما يجب أن يحمله المبلغين من علم ليعلموه الناس باعتبارهم المبلغين عن النبيﷺ.

ومقتضى ذلك أن يكون بيانها سهلاً وقريباً من فطرة الإنسان بما هو إنسان وإن لم يكن مسلماً. ولا يمنع أن تكون متفرعةً واسعة يحتاج إتقانها وتذكّرها إلى مزيد جهد وإخلاص، ورغبة وتوقّد ذهني. كم أن تعلمها شيء وتعليمها شيء آخر؛ فكم من عالم لا يتمكن من إيصال علمه لغيره، وكم من فقيه لا يعرف من الفقه إلّا بعض ظواهره، كما أن علمها شيء، وتمكنها في جوارح الإنسان وجوانحه شيء آخر.



# بين الفلسفة والحكمة



## بين الفلسفة والحكمة

وبعد أن تبين أن الحكمة بالمعنى القرآني ليست مرادفة لكلمة الفلسفة، فمن جهة أن الفلسفة ليست علماً مبذولاً لعامة الناس، فلا عامة الناس يتمكنون من فهم دقائقه، ولا أنهم مطالبون بالتدقيق فيها أو تعلّمها. والمفترض في الحكمة ذلك كما سبق البيان.

ومن جهة أخرى أن للحكمة دخلاً في أفعال الإنسان وتصرفاته في الخارج، وأمّا الفلسفة فعلمٌ جهته العقل والذهن؛ ومن هنا فقد يختلج في نفوسنا سؤال مفاده: كيف نفسّر إذن إطلاق الأعلام وكبار العلماء عنوان الحكمة عليها، وتسمية الفلاسفة بالحكماء؟

ذكرنا في التمهيد أن اللفظ يمكن أن يحمل أكثر من معنىً، وقد يكون اللفظ المشترك منقولاً أو مجازاً. ثم إنه يمكن أن يكون تعيُّنيّاً أو تعيينيّاً، فاستخدام كلمة الحكمة والحكماء من قبل الفلاسفة لمعنى أرادوه أو استخدامهم إيّاه في غير المعنى المراد في كتاب الله العزيز ليس بممنوع. كما أنه ليست فيه مخالفة لكتاب الله. كاستخدامنا كلمة الصيام للامتناع عن الطعام والشراب لعدد معين من الساعات للاستعداد لإجراء فحوصات طبية مثلاً. هذا لقطع الطريق أمام التوهمات والشكوك، أما حقيقة الجواب على هذا السؤال أو التساؤل ففيه وجوه، نذكر منها وجهين:

**أما الوجه الأول**: فهو أن علم الفلسفة ليس من العلوم التي يمكن لطالبها أن يتعلمها بحفظ مادته؛ فإنه علم يحتاج إلى الكثير من الموهبة والذكاء العقلي، وقوة النظر والفطنة. وقد يكون من أكثر العلوم تعقيداً في دقائقه وتفاصيله المترابطة، وكذلك في براهينه؛ ممّا يجعله حكراً على عدد قليل من الناس.

وقد ظل طوال الدهر من العلوم التي يبتعد عنها الكثير من طلاب العلم الذين لا يتمكنون من التدقيق في غوره وتفاصيله أو لأي سبب آخر. ومن شدة الحاجة إلى النظر الدقيق فيه اختلط معناه مع معنى الحكمة من حيث الحاجة إلى الفهم الدقيق، والتعقل بالنظر الدقيق، فوسمه الناظر فيه بالحكمة؛ ذلك لأنه تعوّد الناس على أن قول الحكماء يكون دقيقاً ومتيناً يغفل عنه عامة الناس.

**وأما الوجه الثاني**: فهو أن كثيراً من علمائنا الأعلام الذين سلكوا هذا المسلك في علومهم الدينية الذي هو مسلك الفلسفة، قد وصلوا بجهادهم وتقواهم وصلاحهم وفطنتهم وقوة نظرهم إلى أن يكونوا حكماء، لا من جهة إتقانهم البراهين والأدلة التي اصطنعوها في مباحثهم الفلسفية، ولكن من جهة ما تحصلوا به من نور العلم والمعرفة بقوة نظرهم مع التوفيق الرّباني لهم؛ إذ لم يتركوا باب الهدى وشمّروا عن سواعد الجد في تطهير أنفسهم، وأعانهم سلامة صدورهم بأن يكونوا مشعلاً نيّراً استحقوا به أن يكونوا حكماء.

وقد يكون بين الحكمة والفلسفة عموم وخصوص من وجه كما يرى البعض، ولسنا هنا في صدد المقارنة بينهما، ولكن لزم بيان ذلك حتى لا يختلط الأمر على القارئ، فيسيء إلى علوم الفلسفة، أو يقلّل من شأنها أو من شأن الفلاسفة، فقدرها محفوظ، وقدرهم جليل. ولكن ما أردنا بيانه أن كثرة استعمال كلمة الحكمة أعقبت تبادراً في الأذهان لمعنىً ليس هو المراد في القرآن الكريم.

أمّا ثمرة هذا الكلام فهو إعادة توجيه الذهن إلى المعنى التعييني المراد من كلمة الحكمة في كتاب الله العزيز؛ لما في ذلك من أثر يوجب على الداعية والمبلغ بل عامة المؤمنين التوجه نحو مطالب الحكمة باهتمام لا يقل عن اهتمامهم بالفقه وما تنطوي عليه الشريعة من أحكام فقهية.

وقد وجدت في (تفسير القرآن الكريم) لآية الله سماحة السيد الشهيد مصطفى روح الله الخميني قدس سره ما يفيد قبوله، بل رسوخ هذا الفهم لديه؛ إذ أنه خلال تفسيره للآيات الكريمة التي تعرض لتفسيرها في كتابه الآنف والمطبوع أخيراً، فصَّل في مسلك كل اتجاه تفسيري لفهم الآيات، فأفرد لمسلك الحكماء قسماً، وأفرد لمسلك الفلاسفة قسماً آخر. وفي هذا دليل واضح على أنه يرى أن بين الحكمة والفلسفة تبايناً.

وأمّا جهة العموم والخصوص التي يمكن أن تلتقي فيها الفلسفة والحكمة، فيمكن أن يقال: إن معرفة الله والنبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام من حيث كونها أساساً في سلوك سبل الكمال؛ إذ لو لم تكن كذلك ما نفعت الأعمال فقد يقال: إن العقائد تكفّل بها علم الكلام. ولكن سوف يتضح لاحقاً أن جهة الحكمة في النظر في هذه المعرفة غير جهة النظر فيها بالفلسفة، وغير جهة النظر فيها بعلم الكلام، وكل له خصوصية، ولكن لم يطلق أحد اسم الحكمة على علم الكلام، وأُطلق على الفلسفة الأمر الذي جعلنا نفرد هذا الباب.

وقد قيل في الفلسفة: إنه ذهب بعض أهل العلم إلى أن علم الفلسفة هو الذي يبحث فيه عن أحوال الموجود بما هو موجود. وهذا العلم له شأن من الشأن، بل أقوى العلوم برهاناً وأشرفها غاية. وقيل: إن تكميل القوة النظرية بتحصيل العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية التي هي أنفس ما يطلبه النفوس الإنسانية، وأشرف ما

يستكمل به العقول الهيولانية إذ بها يصير الإنسان سالكاً سبل الكمال والعرفان، متوجهاً شطر كعبة العلم والإيمان، متخلّصاً من سجن الحدثان والخسران إلى جهة السعادة ومجاورة الرحمن. وقيل: إن علم الفلسفة من أمهات العلوم العقلية، بل أقواها برهاناً، وأعلاها منزلة، وأشرفها غاية؛ فإنه متكفل بمعرفة الحق عزّ وجلّ، وصفاته العليا، وأسمائه الحسنى. وقيل عن إتقانه: إنه يصل بالإنسان إلى الحكمة الممنون بها على أهلها، والمضنون بها على غير أهلها، وهي بعينها العلم بالله من جهة ذاته.

هذا الحديث يتطلب بيان مقدمة توضيحية لمفهوم العلم. إذ أن العلم بما هو علم مفهوم مشكك وليس متواطئ فعلى سبيل المثال انت تسمع صوتا من خلف حجاب فتعلم بوجود احد وعندما ترفع الحجاب ترى شبحه في الظلمة وعندما تضيء المصباح تتبين شكله فكل من هذه التصورات درجة من درجات العلم، وهكذا تنظر الى السماء نهارا فتراها زرقاء فيحدث عندك علم بزرقة لون السماء وغيرك ينظر اليها فيعلم ان هذه الزرقة انعكاس لون البحار على طبقة الغازات المحيطة بالأرض، وغيره ينظر الى السماء ويعلم ان ذلك وإن كان انعكاس لون البحار وإنما الماء لا لون له ولكنه انعكاس الضوء بدرجة معينة ينتج عنه هذا الطيف الذي تحسبه العين ازرقا. هكذا جميع العلوم العقلية، فهي تنصبغ بصبغة ما ثبت من مقدمات علمية في ذهن الانسان.

و بين مدّعى أن العلم ذاتي الكشف للواقع وعدمه بحوث تطاولت، وغاية ما استطاع بلوغه من أثبت التلازم هو قوله بأن التصور بما هو تصور والتصديق بما هو اعتبار والعلاقة بينهما بما هي كذلك في الاعتبار. لا شبهة في عدم جريان الصدق أو الكذب عليها، والذي لا يكون إلّا بمقايستها بالخارج، وهو الأمر الذي تقوم به

الواهمة في النفس، وبذلك يثبت التلازم بين العلم وكاشفيته للواقع، وخلاصته التفكيك بين مقامي الثبوت والإثبات.

ولكن حقيقة العلم بما هو كاشف لا فائدة منه إن لم تكن كاشفيته في مقام الإثبات بما يفيد صدقه في الخارج، وبهذا البيان وإن لم ننقض التلازم فإن مثل هذا العلم لا حقيقة خارجية فيه ليعتبر. ومع ذلك فإننا نجد أن هذه الكاشفية المدّعاة في مقام الثبوت غير ثابتة؛ وذلك لأن العين تخدع، والسمع يخدع، والقلب يخدع. وإن التصور إن لم يكن فيه مقايسة مع الخارج ليس بعلم وإنما هو تخيل.

وإن قيل: إن التصور جزء العلم، أو أحد أفراده، فنقول: إن قول: إنّ التصوَّر فرعٌ للعلم ناشئٌ من الصورة التي وجدها الذهن للمعلوم. ومن هذه الجهة فإنه كذلك، ولكن ما الذي يثبت أن الصورة التي تصورها في المقام هي ذات صورة المعلوم في القضية إن لم يكن فيها مقايسة مع الخارج؟ فكون التصور لا يجري عليه الصدق والكذب شيء، ولزوم ذاتية العلم للكاشفية للواقع شيء آخر، فتأمل.

إن أشرف العلوم هي العلوم الربّانية التي يستقيها الإنسان بجلاء قلبه وطهارة نفسه من أدرانها، مع تفتح ملكات عقله وقلبه من القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأُذُن الواعية، والقلب الذي فتحت أقفاله، لا ما يصل إلى معرفتها بالبرهان والدليل العقلي. ولو كان العكس لوجدت العرفاء والأولياء والأنبياء يتعلمون من الفلاسفة لا العكس، فتفطن.

أمّا القول: إنه من جهة ذاته سبحانه وتعالى على إطلاقه، فهذا قول واضح البطلان، فإنها حضرة عماء، وحريم الحضرة الربّانية التي لا يتمكن أحد من مجرد التفكير فيها؛ ضرورة أن كل ما تخيّلته أوهامكم فهو مخلوقكم ومردود إليكم. نعم إن كان المقصود بذلك أسماءه وصفاته وشؤونها فهو، أمّا إذا كان المقصود من جهة

ذاته ـ أي من فيضه وتنزيله ـ فهذا القول غير تام من حيث إن العلوم العقلية لا يلتزم أحد بعصمتها من الخطأ ما لم تنتسب إلى معصوم بالذات. وأمّا سلوك سبل الكمال فطريقها يقيناً ليس قوة النظر والتحليل والبرهان.

وليُعلم أن العلم الذي لا يورث نوراً في القلب ليس بعلم وإن حفظه صاحبه وأتقن برهانه، وقليلُ علم مع تزكية خير من كثيره بدونها.

ثم إن الفلسفة بذاتها علم شريف في غايته، بل لعلها أشرف العلوم النظرية غايةً؛ إذ إن أفضل الأعمال معرفة الله تبارك وتعالى. كما أن من المعلوم أن الأجر على قدر العقل، فقد جاء في الكافي عن عَلِيِّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «**إِذَا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حَالٍ فَانْظُرُوا فِي حُسْنِ عَقْلِهِ فَإِنَّمَا يُجَازَى بِعَقْلِهِ**».

## مراتب معرفة الله

ومعرفة الله تبارك وتعالى مراتب:

**أدناها أن تعرف أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى كلها**، علماً يكفي فيه قليل برهان، كقول الأعرابي: «**أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا يدلاّن على اللطيف الخبير؟**».

وأعلاها ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يا علي، ما عرفك إلّا الله وأنا، وما عرفني إلّا الله وأنت، وما عرف الله إلّا إنا وأنت**».

## سبل المعرفة

وبين هاتين المرتبتين مراتب كثيرة، والأجر على قدر العقل. وسبل هذه المعرفة

ثلاث:

إحداها: التدبر فيما جاء في هذه المعرفة في كتاب الله المجيد والسنة المطهرة، والنظر فيها بعين الفهم والعقل والتفريع عليها بما آتاه الله الإنسان من سعة. وكل مؤمن مدعوٌّ إلى مثل هذا كما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[1]، وللتدبُّر أصول وأحكام. فلا أقلّ أنه ينبغي للمتدبر أن يكون متمكناً من فهم اللغة العربية، ومقبلاً على الله خالياً من مسبقات علمه، لئلّا يتعرض لحمل القرآن برأيه، وتحميل كلام الله ما لا يحتمل. كما أنه ينبغي للمتدبر ألّا يغفل عمّا ورد في السنة المطهرة من تفسير؛ فيكون بذلك أقرب إلى التقوى، ومظنة المراد الواقعي في فهمه.

الثانية: **النظر العقلي المحض**، وإقامة البرهان بما أودع الله في الإنسان من قوة في النظر والاستدلال، والنظر فيما أورده الفلاسفة في هذا العلم، والتدقيق في أدلتهم وبراهينهم، بل توسيع الأفق في الإدارك والتفريع. وهذا هو مسلك الفلسفة ولكن هذا المسلك خطير إذ أن العقل ليس بالضرورة كاشفاً للواقع والحقيقة، كما بيّنّا فيما سبق. ولكن ذلك ليس لعدم حجية المعلوم عن طريقه؛ حيث ثبت أن العقل بما هو عقل محض قد صحّ فيه ما روي عن الأئمة الطاهرين، ففي الكافي الشريف عن عَلِيِّ بْن مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: «**حُجَّةُ الله عَلَى الْعِبَادِ النَّبِيُّ، وَالْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ الله الْعَقْلُ**».

وفيه كذلك عن عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ

---

(١) محمد: ٢٤.

بَعْضِ رِجَالِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهعليه السلام قَالَ: «**الْعَقْلُ دَلِيلُ الْمُؤْمِنِ**».

وبهذا فلا شبهة في أن العقل الصرف المحض يصح الاستناد به، والاستناد عليه، ولكن طبعت نفوس عامة الناس بالكثير من الأدران والريّن كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾ وقال: ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1]، وشغلت الجزء الآخر منهم أهواؤهم وملذاتهم، وقسم آخر منهم نسوا ما ذكّروا به، وقسم آخر شغلته نفسه ومشاغله الدنيوية، وقسم آخر شغله ما ورثه من حوله من علوم وقناعات بنى عليها بنيانه، وهلمّ جراً. فأصبح الإنسان بما هو عليه لا يكاد يمكنه الوصول إلى العقل الأول الذي أودعه الله تبارك وتعالى فيه؛ ولذلك فقد أسندت روايات أخرى من السنة المطهرة العقل ليس إلى المعنى المتبادر منه بين الناس، ولكن إلى الذي عبد به الرحمن واكتسب به الجنان.

ومن ذلك ما ورد كذلك في الكافي الشريف عن عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُحَارِبِيِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهعليه السلام قَالَ: «**قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَعليه السلام: إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ عَقْلِهِ**».

وفيه كذلك: عَلِيٌّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الرِّضَاعليه السلام، فَتَذَاكَرْنَا الْعَقْلَ وَالادَبَ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا هَاشِمٍ، الْعَقْلُ جِبَاءٌ مِنَ اللهِ، وَالأَدَبُ كُلْفَةٌ، فَمَنْ تَكَلَّفَ الأَدَبَ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَكَلَّفَ الْعَقْلَ لَمْ يَزْدَدْ بِذَلِكَ إِلّا جَهْلاً**».

وفيه كذلك عن عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الاشْعَرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ الدِّهْقَانِ عَنْ دُرُسْتَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهعليه السلام:

---

(١) المطففين: ١٤.

«أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً». فعلمنا أن المقصود من العقل ليس مجرد قوة النظر والدقة.

وعلى هذا فسلوك مثل هذا السبيل ـ وهو الفلسفة ـ فيه كثير من المخاطر، وسالك هذا السبيل إلى المعرفة ينبغي عليه أن يصطفي لنفسه مدرِّساً على درجة عالية من التقوى والبصيرة، ثم يعرض ما توصل إليه فهمه على كلام الله ورسوله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام فإن وافقه أخذ به، وإلاّ فلا.

أمّا القول بأن الفلسفة أشرف العلوم العقلية وأقواها برهاناً، فقول تام من حيث إن غايته معرفة الله وأسمائه وصفاته، وقد يكون ضرورياً لطالب العلم أو المبلِّغ والداعية من جهة تحصيل القدرة على قوة البرهان، ودقة النظر لمواجهة أصحاب الشبهات، وتطهير عقول الناس ممّا قد يتعرضون له من مكائد شيطانية، أو مصايد المرضى من أصحاب العقول الضالّة والمضلّة إذا رأى في نفسه القدرة والرغبة. وهذا لا شك في كونه غاية حميدة وكبيرة. ولكن ينبغي على المؤمن تعلم الكتاب والحكمة والتزكية أولاً، ثم ما شاء من العلوم الأخرى الكمالية، والعاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

## الثالثة: العرفان

هو ما يتأتى بجهاد النفس وتصفيتها من الكدورات الدنيوية والنفسانية، وتطهيرها من الأدران والرغبات والشهوات، واستكمال الكمالات القلبية، فتنفتح أقفال القلوب، فتتفتح في القلب نوافذ تنكشف من خلالها للإنسان علوم ربانية تتنزل من القرآن الكريم والسنة المطهرة، فيدرك عقل العارف حينئذٍ منها ما لا يدركه غيره.

ولقد قسِّم العرفان إلى قسمين:

**١ـ العرفان النظري.**

**٢ـ العرفان العملي.**

على اعتبار أن الدراسة الذهنية لعلوم العارفين فرع العرفان. والصحيح أن العرفان شيء، والبحث النظري والعقلي شيء آخر. والذي نراه هو أن ما يسمّى بالعرفان النظري فرع الفلسفة، أمّا العرفان بما هو عرفان، فهو كشوفات قلبية ملكوتية، فإذا ترجمت هذه الكشوف إلى علوم نظرية تحولت إلى فلسفة. فالعارف منكشف له معارفه وعلمه من كلام الله تبارك وتعالى، وكلام الأطهار بطهارة قلبه وكمال عقله وعودته إليه، فتنزيل من تنزيل، كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلّا خَسَاراً**﴾[1]، أمّا الناظر في كلام العارفين، فيفهم وجهاً منه ببرهان عقله، وشتّان بينهما، فتأمل.

فأمّا الطريقة الأولى والثانية أي التدبّر والفلسفة في المعرفة ـ فشرطهما إعمال الذهن وقوة النظر، وهذا ما لا تكتمل به موجبات كسب الآخرة إلّا مع العمل الصالح والالتزام بدين الله تبارك وتعالى. وأمّا الثالثة، فهي بذاتها التزام وطاعة وتشرّع بما أمر به الله تبارك وتعالى.

وأمّا سلوك سبل الكمال والعرفان فلا يتأتّى بالأدلة والبراهين النظرية مهما كانت دقيقة وقوية، ولكنه يتأتّى بتشمير سواعد الجد والعزيمة والشوق والرغبة والإخلاص مع وجود الأذن الواعية بتوفيق الله تبارك وتعالى، ورعاية الولي الكامل المكمِّل (روحي وأرواح العالمين له الفداء)، ثم تلاوة الآيات المباركة، وتزكية النفس

---

(١) الإسراء: ٨٢.

وتطهيرها، وتعلم الكتاب والحكمة بيد معلّم شقّ ذلك الطريق من قبل، فورث من علم رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن أقبل على عتبات بابه عليه السلام حتّى عرف نفسه فعرف ربَّه. وحينئذٍ ينقدح في مشكاة القلب مصباح النور الإلهي، فيضيء وإن لم تمسسه نار، فتستيقظ الألباب، وتنكشف المعارف الرّبانية للقلب، فيفقهها العقل فقهاً لا تحركه الشبهات ولا المصاعب والابتلاءات. ومثل هذا المؤمن حينئذٍ أشدّ من الجبل إذ الجبل يؤخذ منه، والمؤمن لا يؤخذ منه.

وخلاصة القول أنه وإن لم تكن الحكمة هي الفلسفة، ولكن لا تنافر بينهما كما أنه لا تلازم بينهما، فنقول حينئذٍ: إن التزكية وردت في القرآن تارةً قبل التعلم، وتارةً بعده، ممّا يشير إلى أنهما عجلتا حركة، فلا تزكية بغير علم، ولا علم بغير تزكية. لا يقال: إنه دور؛ فإن العلوم مراتب، والتزكية مراتب، كما جاء عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في الكافي باب مراتب المؤمنين في الحديث الثاني: محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن بعض أصحابه عن الحسن بن علي ابن أبي عثمان عن محمد بن عثمان عن محمد بن حماد الخزاز عن عبد العزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**يا عبد العزيز، إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، يُصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست علي شيء حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك. وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق؛ فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره**».

وفي الحديث الثالث: محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن ابن مسكان عن سدير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «**إن المؤمنين على منازل؛ منهم على واحدة، ومنهم على اثنتين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربع،**

ومنهم على خمس، ومنهم على ست، ومنهم على سبع، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقوَ، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقوَ، وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقوَ، وعلى صاحب الأربع خمساً لم يقوَ، وعلى صاحب الخمس ستاً لم يقوَ، وعلى صاحب الست سبعاً لم يقوَ، وعلى هذه الدرجات».

وقد ورد عن سيد الأولياء وتاج العارفين ونور المؤمنين الذي لا علم إلّا عن طريقه، ولا عروج إلّا بختمه مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام، وما أدراك ما عليّ، الرجل الذي لم يعرفه إلّا الله خالقه ورسول الله (اللهم صلِّ عليه وآله وسلم) معلِّمه وأبوه الذي ربّاه، فقد روي عنه عليه السلام أنه جاء إليه رجل وقال له: يا أمير المؤمنين، دلّني على الحقيقة. فقال عليه السلام: «**مالك والحقيقة؟**». فقال: أومثلك يردّ سائلاً فقال عليه السلام: «**لا ولكن ليطفح عليك ما يرشح منّي**». فلم يقنع وأصر عليه، فقال له: «**الحقيقة كشف الموهوم مع صحو المعلوم**». فقال: زدني بيانا فقال: «**الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة**». فقال: زدني بياناً فقال عليه السلام: «**نور يشرق من صبح الأزل تلوح على هياكل التوحيد آثاره**». فقال: زدني بياناً فقال عليه السلام: «**اطفِ السراج؛ فقد طلع الصبح**».

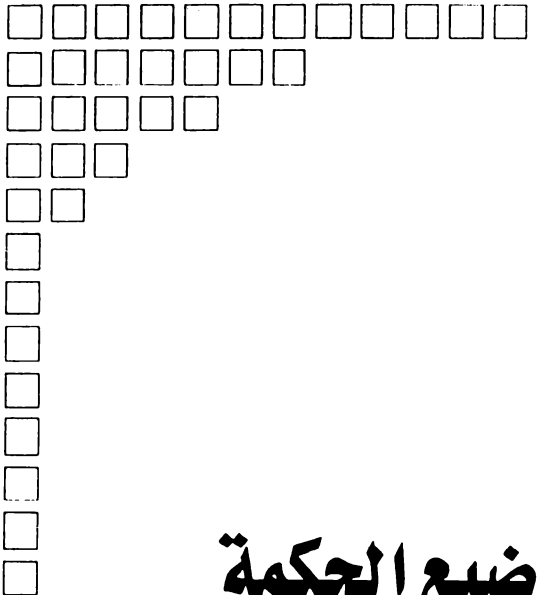
لقد كان الرجلان يجلسان أمام رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمام أحد من الأئمة الطاهرين فيحدّثهما بحديث قد يفهم أحدهم منه شيئاً لا يفهمه الآخر، ويستمع الرجلان إلى القرآن الكريم فيفهم أحدهم شيئاً لا يفهمه الآخر، وهذا الأمر واضح لا يختلف عليه اثنان. لذا فإن مراتب القدرة على الفهم ليس فقط تتعلق بالذكاء العقلي ونباهة الذهن، ولكن تزكية النفس وطهارتها أهم، ولها دور كبير فيها.

ومنها ندرك المراد من مقولة أنَّ «**العلم نور يقذفه الله في قلوب من يشاء من**

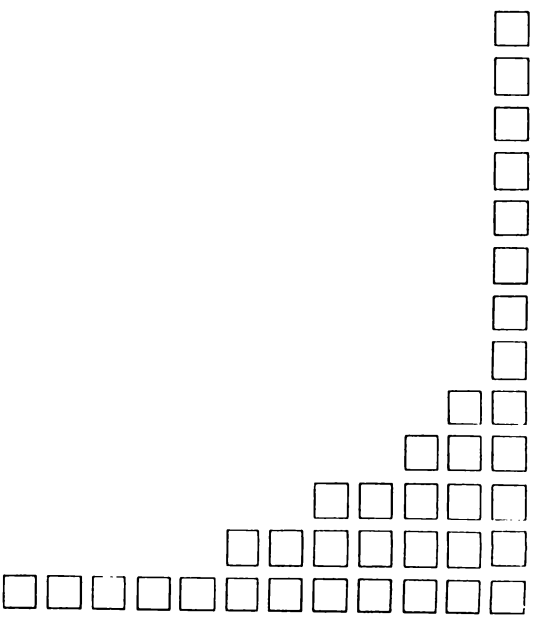
عباده»، وما يذكره القرآن الكريم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[1]. بل إن كتاب الله العزيز يصف كثيراً من أصحاب النظر الدقيق والعقل الراجح من الأذكياء والعباقرة فيما يتراءى لعامة الناس بأنهم لا يعقلون ولا يفقهون، وغير ذلك.

ودلالة التقديم والتأخير بين التزكية والتعليم في كتاب الله العزيز لواضحة في أنهما متراكبان، فهناك علم يسبق التزكية، وعلم يعقبها. وهكذا فلكل مرتبة تزكية مرتبة علم، ولكل مرتبة علم مرتبة تزكية، كما جاء في روايتي الإمامين عليهما السلام.

(١) الأعراف: ١٧٩.



# مواضيع الحكمة



## مواضيع الحكمة

قيل في معنى الحكمة: إنها معرفة الله وشؤونه الذّاتيّة، أو أنها العلم بكمال الجلاء والاستجلاء. وقد ثبت من خلال عرض الآيات المباركة أن هذه العلوم وإن كانت علوم عالية وشريفة بل قد تكون أشرف العلوم على الإطلاق ذاتاً إن كانت حاصلة من الكشف والشهود، لا من البرهان العقلي إلّا أنها ليست الحكمة التي أشار إليها الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز.

مع العلم أننا عندما نذكر الكشف والشهود قد ينشأ في ذهن القارئ صدٌّ لهذا الفهم من جهة أنه كيف يصح ذلك من غير المعصومين أو كيف يحتج بهذه المعاني من غير دليل، فنقول: إن الكشوفات والعلوم الواردة منها لا تخلو من دليل ولكنها فهوم لا يدركها من لم يتهيأ، وشأن تلك العلوم مع من لم يتأهل شأن العنّين اذا اردت افهامه لذة الوقاع، وغاية ما يمكن أن يقال في ذلك أن كشوفات العارفين ليست حجةً على غيرهم كما أنه اذا رأيت رجلاً يطير في الهواء ويسير على الماء وفعله يخالف الشريعة فالأمر يستوجب منه القطيعة. ومع ذلك فنحن لسنا في صدد الحديث عن العرفان فليلتمس من أراد الاستزادة في مظانه، ولعل في كتابي لب اللباب في سير وسلوك اولي الألباب لآية الله الطهراني دام عزه وكتاب كسر أصنام الجاهلية للملاّ صدرا (رحم) الترياق لهذا السؤال.

كما قيل في الحكمة: إنها العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، وعمل بمقتضاه. وهذا المعنى قريب ممّا دأب الناس في استعمال كلمة الحكمة له، أي المعنى الثاني وهو المتفرع عن الحكيم المدبر. وقد يستشف هذا المعنى ممّا روي في الكافي الشريف عن

أَبي عَبْدِ الله الاشْعَرِيّ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ﴾[1]، قَالَ: «**الْفَهْمَ وَالْعَقْلَ**».

وفيه عن عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام ضمن حديث طويل كذلك: «**وَالْحِكْمَةُ ضِدُّهَا الْخَطَأُ**».

وهذا المعنى أقرب المعاني إلى التبادر، غير أنه لا يقوم بذات إطلاقه كما لا يخفى. فالقول: إن الحكمة هي «**الْفَهْمَ وَالْعَقْلَ**»، أو: «**ضِدُّهَا الْخَطَأُ**» له مصاديق كثيرة ومتعدّدة لا تحصى، بل يكاد يكون في كل علم وفعل وخاطر له مصداق. وقطعاً ليس هذا المعنى العام هو مقصد الإمام عليه السلام، فعلى سبيل المثال إن الذي يفهم في أنواع الطبخ ويعقل كيفية إتقانها لا يقال عنه حكيم: ولكن يقال: «طباخ ماهر»، والذي يميز الخطأ من الصواب في استخدام آلة الحلاقة قطعاً ليس بحكيم من هذه الجهة، مما يقتضي البحث في المواضيع التي يختص بها هذا التعريف، ويكون الفهم والعقل فيها هو الحكمة وضدّها الخطأ. كما أن قول الإمامين عليهما السلام يفهم منه المراد بالحكمة في كتاب الله العزيز، وذلك حيث أنه عليه السلام في الرواية الأولى في مقام بيان تعريف الحكمة التي آتاها الله تبارك وتعالى لقمان، والتي ذكرت في القرآن الكريم.

وببيان آخر نقول: إن كلمة الحكمة في القرآن الكريم لها دلالة لفظية هي الفهم والعقل، وضدّها الخطأ بشرط أن يكون ذلك في قضايا ضمن دائرة معينة. وأما هذه

---

(١) لقمان: ١٢.

الدائرة فيمكن معرفتها من خلال ما ورد في السنة الشريفة في معرض بيان العقل، وكذلك ما ورد في كتاب الله العزيز من الآيات التي تتحدث عن الذين يعقلون والذين لا يعقلون.

**وبالجملة**، فإن هذه الدائرة هي دائرة ما يورث الإنسان من السعادة الأبدية في الآخرة ممّا يكتسبه خلال عمره في هذه الحياة الدنيا. ففي الكافي الشريف في باب العقل والجهل عن أَحْمَد بْن إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ إلى أَبِي عَبْدِ اللهعليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: «**ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان**». قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: «**تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل**».

وفي الكافي كذلك عن عِدَّة مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وآله: «**ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، وما بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته، وما يضمر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل. والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الالبَابِ﴾**[1]...».

من خلال هاتين الروايتين والكثير من الروايات المشابهة يتبين أن المقصود من العقل ليس إعمال الذهن بما يدل عليه إطلاقه. وبقرينة الكثير من آيات الذكر

---

(١) البقرة: ٢٩٦.

الحكيم التي لا تخفى حيث وصف القرآن الكريم الكفار بأنهم لا يعقلون مع أن هؤلاء يُعْمِلون أذهانهم كثيراً، ويتوصَّلون إلى معرفة بعض السنن الكونية، ويصنعون الآلات، ويستعلون الحساب وغيره، بقرينة دلالة هذه الآيات يتبين أن العقل هو إدراك السنن الإلهية بما يترشح منه انتفاع الإنسان في عاجله لآجله لا مطلقاً.

وأما موضوعات الحكمة، فهي المراد بالقول: **المطالب التي بتعقلها وفهمها فهما صحيحاً يتمكن من كسب رضا الرحمن ونيل سعادة الدار الآخرة**، ويوجد في كتاب الله العزيز ما ينص على بعض مطالب الحكمة المرادة من قبل الله تبارك وتعالى وهذه المطالب هي ما لا ينبغي تغافل تعلُّمه من المؤمن، بل عموم المسلم، ونسأل الله تعالى أن يسددنا لما فيه رضاه، وأن يتقبل منّا القليل، ويغفر لنا الكثير، ويتجاوز عن التقصير، إنه قريب مجيب.

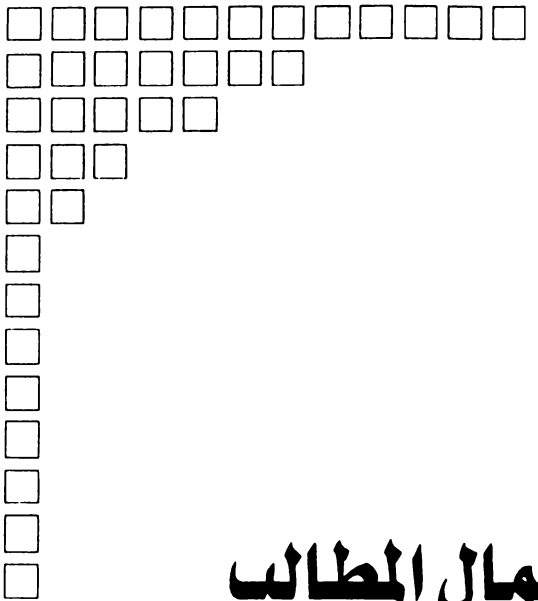
ومع وجود النصوص القرآنية فلا مجال لنا للحكم على المراد من كلمة الحكمة إلّا ما يتبين في هذه النصوص، أما التبادر الحاصل من اللفظ فلا يمكن الاستدلال به. نعم، لو خلّينا نحن وهذا اللفظ دون الآيات التي تبيِّن المعنى لكان الاعتماد على التبادر كافياً، ولكن مع وجودها فلا. ومع الجمع بين النصوص التي استعرضناها يتضح أن حقيقة الحكمة هي الفهم العميق لما وراء المنظور وعقله، وتمييز الخير والشر، والصالح والفاسد منه بما يحقق مرضاة الله تبارك وتعالى، وكسب الدار الآخرة، وصلاح أمور المعيشة في الحياة الدنيا.

أما هذا الفهم والعقل والتمييز، فيحصل بدراسة مواضيعه التي نصت عليه الآيات المباركة أولاً، ومن ثم فتح مسامع القلب لكلمات القرآن الكريم عموماً، والسنة المطهرة مع تزكية النفس بالجهاد الأكبر.

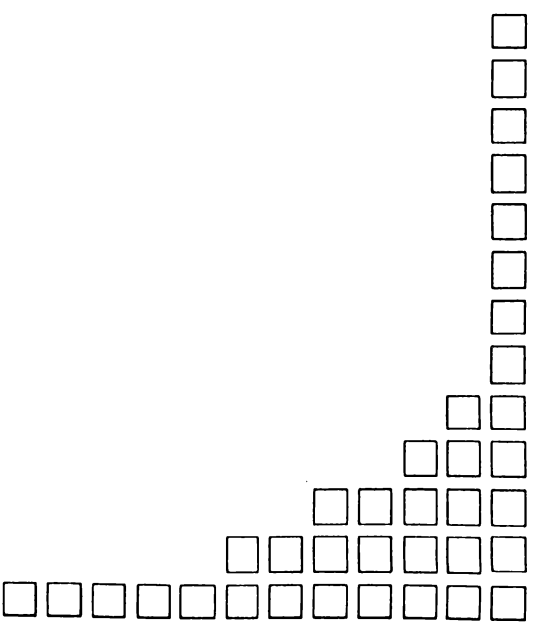
ونستأنف القول: إن الحكمة يتعلمها الإنسان خير له من أن يطّلع على مواضيعها، فإنها وإن تمكّن المرء من فهم مطالبها فإنها ينبغي أن تُستوعب قلباً وقالباً، وتنقلب حالاً منظّماً له في سلوكه وتصرفاته وأقواله. وأنّى لذلك أن يتأتّى من غير معلم؟ فكم من ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[1]؟ هذا هو النظام، ولكن الله يرزق من يشاء بغير حساب، وهو وليّ التوفيق.

---

(١) النور: ٣٩.



# إجمال المطالب



## إجمال المطالب

هناك آيتان في كتاب الله العزيز يمكن أن نستشف منهما الحكمة المرادة، والتي استعرضاناها ضمن الآيات المتقدمة، وهي الآية المباركة في سورة الإسراء والآية المباركة في سورة لقمان.

أما آية سورة لقمان فهي: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1]. ثم ذكر الله تبارك وتعالى وعظ لقمان لابنه حسب التفصيل المذكور في هذه السورة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[3].

في هذه الآيات المباركة وبقية الآيات التي تقع في سياقها؛ سواء بينها، أو بعدها

---

(١) لقمان: ١٢.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) لقمان: ١٦ ـ ١٩.

لا نتمكن من الاستدلال بصيغة كلام الله تبارك على استخراج مطالب الحكمة بصورة لا شك فيها إلّا في الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؛ حيث جاء حرف ﴿أَنِ﴾ أن بعد ذكر الحكمة؛ ممّا يفيد أن الجملة التي بعده بيان لما قبله، وهذا قطعي.

أما آية سورة الإسراء فهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾[1]، وهي تفيد أن المذكور قبل هذا القول هو من الحكمة.

وبالتدبر في السورة المباركة ابتداء من البسملة وحتى هذه الآية نجد أن الله تبارك وتعالى في بداية السورة تحدث عن الإسراء بحبيبه ﷺ، ثم تحدث عن نبيه موسى عليه السلام، ثم وجه كلامه إلى بني إسرائيل وتحدث عنهم، وبعد ذلك سرد بعض المطالب استرسالاً، ثم أعقبها بقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾؛ مما يبين لنا أن هذه المطالب التي ذكرها استرسالاً هي مما أوحى الله تبارك وتعالى إلى النبي ﷺ من الحكمة؛ وعليه فهي من مطالب الحكمة.

وهذه الآيات المباركة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً * وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً * وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً * مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ

---

(١) الإسراء: ٣٩.

فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً * وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً * مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً * كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً * لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً * وَقَضَى رَبُّكَ إِلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً * إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً * وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً * وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً * وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً * وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ

تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً * وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً﴾[1].

## استنتاج

مع التأمل في الآيات المباركة نجد:

أولاً: أنها تنص على أن هذه المطالب المذكورة هي من الحكمة. وهذه المطالب تنقسم إلى صنفين:

١ـ أمور تتعلق بالإيمان والفهم، بحيث يكون لهذا الإيمان والفهم أثر في أعمال الإنسان وتصرفاته في الحياة الدنيا.

٢ـ إرشادات وأوامر ونواهٍ تتعلق بما ينبغي على الإنسان أن يفعله أو لا يفعله.

ومع أن هذه الأمور تدرس في مباحث الفقه إلّا أنّ إيرادها في مطالب الحكمة له وجه؛ وذلك لأثرها في إيجاد المكنة في الفهم والعقل.

ثانياً: إن الصنف الثاني من جهة صدقها في الواقع كذلك يمكن أن تنقسم إلى وجهين أحدهما حسن والآخر سيّئ. ولذا فقد وردت كلمة ﴿ذلك﴾ في الآية (٣٨)، وعرفنا من الآية أن هذه الأمور يحتمل فيها الوجهان، ومعرفة هذين الوجهين من هذه الأمور هو الحكمة المشار اليها في كلمة ﴿ذلك﴾ من الآية (٣٩).

أما بقية المواعظ في سورة لقمان، وكذلك ما يشابهها في كثير من آيات القرآن الكريم، فلا شك في مطلوبية تعقلها وعظمتها وبالغ أثرها في النفس، ولكن

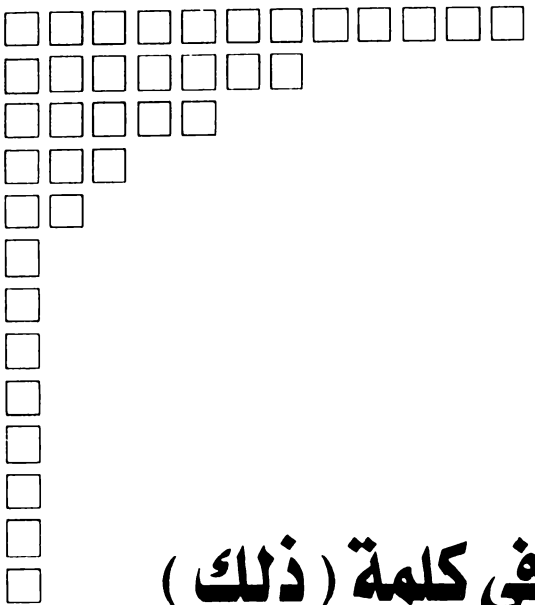
---

(١) الإسراء: ٩ ـ ٣٩.

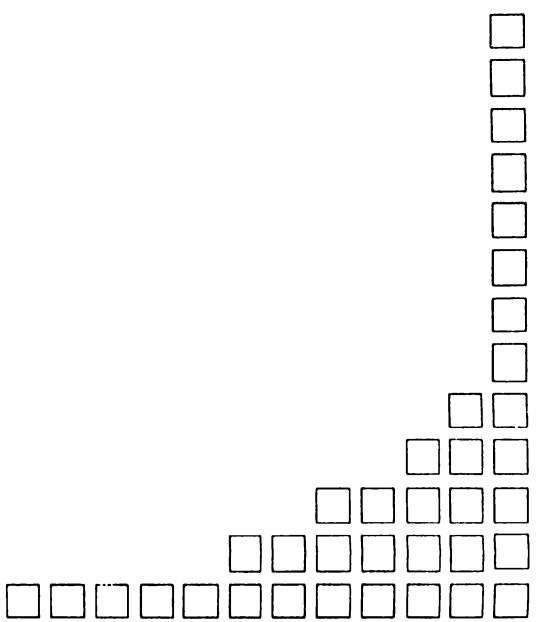
اقتصارنا على مطالب الحكمة المنصوصة يضطرنا الوقوف على ما يثبت مراده منها في كتاب الله المجيد نصّاً لا روحاً.

أمّا بعد اتّضاح المراد من الحكمة وإمكان تعلّمها، بل أهميته، فسنحتاج إلى دراسة أخرى تفصيلية تفي بالشرح اللازم؛ ليتيسر لمن اقتنع بها نقول أن يدرسها. ومع العلم أن مطالب الحكمة مبثوثة في القرآن الكريم والسنة المطهرة إلّا أننا وللأسف نجد القليل من الدراسات والبحوث المتخصّصة في هذا الجانب بشكل مباشر موجّه ومنظم، ناهيك عن عدم وجود الحكمة بعنوانها على الإطلاق ضمن العلوم الدراسية لطلاب العلم.

كان هذا إجمالا لمطالب الحكمة التي سنتعرض للبحث لها خلال هذه الدراسة، ونسأل الله أن يسدّد فهمنا وبياننا لما فيه طاعته ومبتغاه ورضاه، وهو ولي التوفيق.



# فصل في كلمة ( ذلك )



## فصل في كلمة ( ذلك )

إن كلمة ﴿ذلك﴾ في الآية (٣٨) من سورة الإسراء جاءت ضمن سياق الآية في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾، هذا في قراءة حفص المعروفة والمتداولة والمشهورة وأكثر القراءات الأخرى، ولكن صاحب الميزان (قدس) قال: إنه ورد في قراءةٍ (سيِّئَةً) مكان قوله تعالى: ﴿سَيِّئُهُ﴾، والظاهر أن الأولى هي المشهورة؛ إذ لو قرأناها بفتح الهمزة وتنوين النصب على التاء المربوطة لأصبح ظاهر المعنى أن المشار إليه بإسم الإشارة ﴿ذلك﴾ كله سيئةٌ، ولو تتبّعنا وتأملنا الآيات السابقة لوجدنا أن كثيراً منها لا يمكن أن ينطبق عليها هذا الوجه؛ لسببين:

**الأول**: أن تكون المشار إليها بـ ﴿ذلك﴾ المطالب المذكورة في الآيات ابتداء من قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادكُم ...﴾، ومع التأمل نجد أن غالبها فعلاً مما يمكن أن توسم بالسيئة، وهي أمور ينهى عنها الله تبارك وتعالى، وهي المسبوقة بأداة النهي ﴿لا﴾. ولكن في وسط الكلام يأتي أمر الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿أَوْفوا الْكَيْل...﴾، ثم قوله تعالى: ﴿وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ...﴾. وهذان الأمران بما هما لا يمكن أن يكونا سيئةً؛ بدليل أمره تعالى بهما. فوصف المأمور به والمنهي عنه في عرض واحد بالسيئة لا يستقيم. أما لو كان المشار إليه بـ ﴿ذلك﴾ أوسع وأعم ممّا ذكرناه، فإن انطباق البيان عليه يكون أوضح من أن يستشكل.

**الثاني**: أما لو كان المراد من (السيئة) بيان أن مخالفة أمر الله في الآيات السابقة

سيئة فهو تحصيل حاصل، وقد قيل: «من أشكل المشكلات توضيح الواضحات». ولذا فإن السيئة لازم ذاتي لمخالفة أمر الله تعالى بالاعتقاد، أو الفعل، أو النهي، أو بأي صورة ممكنة لا ينفك عنه.

هذا ما نتمكن من فهمه، وبالتالي الاعتماد على القراءة المشهورة، أمّا لو ثبتت القراءة الأخرى، فعندئذٍ نحمل الكلام على أن يكون المقصود تعيين الأكثر.

وعليه فيكون تفسير الآية المباركة أن المشار إليه بـ ﴿ذلك﴾، بالإمكان أن يكون لبعضه وجه سيّئ، والوجوه السيئة هذه مكروهةٌ عند الله تبارك وتعالى. والآية ليست فيها دلالة على حتمية الوجه السيّئ في كل ما تم ذكره بقوله سبحانه: ﴿كُلُّ ذلِك﴾، فإضافة الضمير المتصل الهاء إلى ﴿سيّئ﴾ يفيد التبعيض من الكل بما هو كلٌّ جامع، ولا يسري ذلك إلى أفراده. وتكون الجملة بمعنى أن المكروه عند الله هو السيّئ من بعض كل ذلك، أي بعض ما ذكرناه. وحيث أن الآيات المباركة (٩ - ٣٧) ضمن سياق قرآني متصل واحد، فالذي يتبين أن المشار إليه بـ ﴿ذلك﴾ في الآية الثامنة والثلاثين جميع ما تم ذكره في هذه الآيات المباركة.

ثم إنه تبارك وتعالى بعد أن ذكر مراده فيها، كان مشيراً إليه بالجملة، وحيث إن بعض هذا المراد يفترض فيه وجهان: وجه سيّئ، ووجه ليس بسيّئ بيّن أن هذا البعض وجهُهُ السيّئ مبغوض إليه سبحانه.

أمّا كلمة ﴿ذلك﴾ في الآية التاسعة والثلاثين من سورة (الإسراء)، فمن الواضح أنها لا زالت في سياق الكلام السابق نفسه، ولكنها هنا أصل المبحث؛ لأنها تحكي عن المعنى التعييني للحكمة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.

ففي هذه الآية وردت كلمة ﴿من﴾ مرتين، الأولى في قوله تعالى ﴿ممّا﴾ أي (من

ما)، فأمّا في الأولى فهي تبعيضية لا شك، أما الأخرى فالظاهر أنها لبيان الجنس كقوله تعالى: ﴿**آنية من فضّة**﴾. وعلى كل حال فإن تحليله لن يفيدنا في بحثنا كثيراً، فغاية القول أن المشار إليه بـ ﴿**ذلك**﴾: الحكمة التي أوحيت إلى رسول الله ﷺ.

والمشار إليه بـ ﴿**ذلك**﴾ يمكن أن يكون على إحدى هذه الأوجه:

١ـ أن يكون المراد جملة ﴿**كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً**﴾، بمعنى أن الحكمة هي تمييز السيّئ من غيره في هذه المطالب. وهذا الوجه لا قوة فيه؛ من حيث إن ذلك يستعمل للبعيد، وهذا المطلب أقربها إلى الموضع.

٢ـ أن يكون المراد هنا المراد نفسه في الآية الثامنة والثلاثين؛ لكونه الأبعد، وحيث أنه جمعته الآية الثامنة والثلاثين بقوله تعالى: ﴿**كل ذلك**﴾ **وهي جميع المطالب المشار اليها فيما سبق اعتبارا من الآية التاسعة**، فأصبح جامعاً واحداً بعدما كان أفراداً.

٣ـ أن يكون المراد هو الجامع بين الوجهين الأول والثاني، وهذا هو الأقوى؛ من حيث إنه وإن كان المراد هو الوجه الثاني؛ لأنه أقرب من الأول إلّا أنه بعضه؛ من جهة ذكر السيّئ فيه، وبذلك يكون مشمولاً فيه.

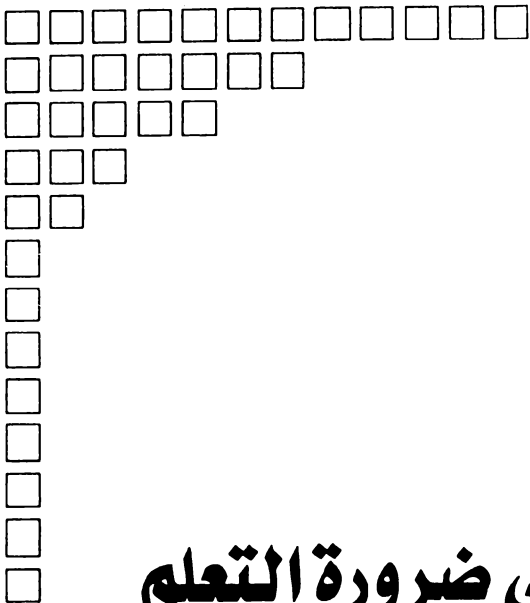
وخلاصة القول في هذا الباب أن ما نستطيع أن نقطع بكونه مادة الحكمة ومواضيعها من المذكور في سورة لقمان: ﴿**أَنِ اشْكُرْ للهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾، ثم ما نصت عليه الآيات المباركة من سورة الإسراء ابتداءاً من الآية (٩ ـ ٣٧).

ولا يمنع هذا أن تكون لها أبواب ومواضيع أخرى، ولكن ينبغي أن تجمعها مع هذه المطالب سنخية مشتركة بأن تكون من جنسها إذا كانت معها في عرض واحد، أو تكون في طولها بحيث تتفرع منها. وإن قيل: إنه يلزم هذا القيد إيجاد تعريف

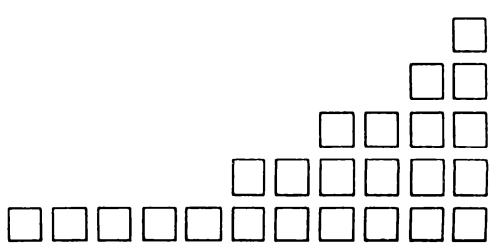
جامع مانع قلنا: إن مثل هذا الجامع المانع لا يتمكن من معرفته إلّا من كشفت له الحقائق سافرة، فأدرك المراد الواقعي، وحينئذٍ لا يحتاج إلى مثل هذا التعريف. أمّا حاجتنا إلى التعريف فهي لبيان المراد منّا، فإن عرفناه ألزمنا أنفسنا به وإن لم يكن من مواضيع الحكمة.

وإن قيل: معرفة انتماء الموضوع إلى علم من العلوم ينبهنا إلى الأسلوب الذي ينبغي أن يتبع فى دراسته، قلنا: إن المواضيع التي تلتقي في سنخيتها وجنسها مع ما ذكرناه فهي منها، أما لو لم تتمكن من التعرف عليها، فاعلم أنك لا ينبغي أن تتصدّى لها، فارجع القهقرى، والتمس من تتعلم منه، فالتعلم وأنت عالم خير لك من أن تقفو ما ليس لك به علم.

وسنفرد لكل مطلب من المطالب باباً نتلمس فيه المدد من مولانا بقية الله عجل الله فرجه؛ لتتفتح عن قلوبنا أقفالها؛ لعل الله تبارك وتعالى يفيض علينا من ألطافه ما نبصر به ببصائرنا قبل أبصارنا. ولا يقال في هذا المقام: إن الدليل العقلي حجة وسلّم ومرقى؛ إذ لو كان كافياً لكان أغلب عباقرة الفكر والسياسة والاقتصاد في العالم أكثر الناس إيماناً. فإن أردت الفهم السليم، فتوّسل بعجزك، وأظهر فقرك، وتلذّذ بعبوديتك، وتسوّل على أبواب أولياء النعمة (عليهم الصلاة والسلام) عليك، واستفرغ همتك، واشحذ عزيمتك، وتعلّم أن تكون متعلّما لا معلّماً؛ فإنك إن تعلمت كيف تكون متعلّما، علمت كيف توصل التعليم إلى من يتعلّم منك غداً. وأسأل الله لي ولك حسن العاقبة والتوفيق والسعادة الأبدية.



# فصل في ضرورة التعلم



## فصل في ضرورة التعلم

بالرجوع إلى الآيات التي سردناها في باب الآيات التي ذكرت الحكمة نجد أنها كلها كانت تتحدث عن التزكية وتلاوة الآيات والكتاب والحكمة بصيغة قيام الرسولﷺ بها لأمته. وقد يتبادر إلى بعض الأذهان أنها أمور متوازية في عرض واحد، فحيث إنه يكفينا من القرآن تلاوته بأنفسنا فكذلك يمكن أن نتزكى ونتعلم دون الحاجة إلى معلم أو مُزَكٍّ، وذلك من جهة أن تلاوة الآيات حيث إنها تمت من قبل رسول اللهﷺ فإنهﷺ قد قام كذلك بالتزكية وتعليم الكتاب والحكمة، فالذي علينا الآن هو تلقي هذه الأمور، فنقوم بتلاوة الآيات لأنفسنا، وكذلك نزكّي أنفسنا ونعلِّمها الكتاب والحكمة.

وهذا المدّعى غير تام من وجوه شتَّى، ونقول لصاحبه:

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياءُ

فلو صح هذا المدّعى لكان قول من يقول بعدم ضرورة الإمامة بعد رسول اللهﷺ صحيحاً، ولا شبهة أن الإمامة امتداد طبيعي للرسالة؛ إذ لولاها لما حفظ الدين.

أمّا بطلان هذا المدّعى فيمكن برهنته بالوجوه التالية:

إن تلاوة الآيات والتزكية والكتاب والحكمة في الآيات، من أعمال رسول اللهﷺ، فهو الذي يتلو الآيات، ويزكّي، ويعلم الكتاب والحكمة. فإن ثبت من

القرآن ما يأمرنا أو يجيز لنا تلاوة الآيات بأنفسنا فإن ذلك لا يسري إلى بقية أعماله، فإن خرج موضوع التلاوة بأمر خاصّ به، فإن الباقي يظل على أصالته. ولا نقول بأنه لا يجوز أن يسعى الإنسان إلى تزكية نفسه أو تعلم الكتاب والحكمة بنفسه، فإنه إن ثبت أنه من عمل رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن ذلك لا يعني عدم الجدوى إن قام به الإنسان بنفسه؛ إذ لا دليل على ذلك، بل إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. ولكن الذي نقول: إن الأصل فيه هو التزكّي بتزكية المزكّي، والتعلّم بتعليم المعلّم، والإنصات إلى التلاوة من صوت المقرئ، فالاستقبال هو الأصل بناء على مدلول الآية.

إن مهام رسول الله صلى الله عليه وآله منها ما هو خاص به، ثم بالمعصومين الأطهار عليهم السلام الذين هم الامتداد الطبيعي له، ومنها ما هو عام كفائي للجامع للأمة؛ فإن قام به البعض بما يكفي سقط عن الباقين. أما الخاص فهو الذي يقتضي العصمة في صاحبه، أما الباقي فهو ما ينبغي أن يقوم به البعض من الأمة. ومن هذه الأمور حسب ما أجمع عليه فقهاؤنا العظام (أيدهم الله تبارك وتعالى) هو الاجتهاد، ومنها ما نصت عليه الآيات المباركة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وقد اختلف الأعلام في إمكان الاستدلال بها على وجوب الاجتهاد والتقليد،

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

ولكن لا يخفى أننا وإن لم نتمكن من الاستدلال بها في ذلك المورد فإن عموم الأمر فيها إن لم يستوجب استقبال الإنذار من الناس، وتعلم الخير، والائتمار بالمعروف، والاستجابة بالانتهاء عن المنكر، بموجب هذا الداعي، لكان الأمر لغواً تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً. ولا يقال: فأي شيء هو هذا الخير، والمعروف والمنكر؟ فإن من الواضح أن الأحكام الشرعية بما هي أحكام شرعية، والأخلاق والآداب والتزكّي وتعلم الكتاب والحكمة كلها مصاديقها وأفرادها، وجميع الأمور التي تتعلق بالدين بما فيها مراتب التطهر مشمولة فيها، وتوضيح الواضحات من أشكل المشكلات.

في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن الذي يعلّم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلّم وله الفضل عليه، فتعلموا العلم من حملة العلم، وعلموه إخوانكم كما علمكموه العلماء**».

وفيه كذلك عن الحسين بن محمد عن علي بن محمد بن سعد رفعه عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «**لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج؛ إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال: إن أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وأن أحب عبيدي إليّ التقيّ الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء**».

وكذلك يقول: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد البرقي عن شريف بن سابق عن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد الله عليه السلام «**قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله، من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله**».

ولعل تداول بعض الاصطلاحات التي يستهجنها الجاهل بها، أو مصايد قطاع

طرق المعرفة تكون مثبطة لك عن سبر غورها، فنقول في مثل هذا: احرص على ألّا تكون مصداقاً للآية المباركة التي تقول: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[1].

ومرجع حديثنا إلى الحكمة، فلا هي تأتي بفهم مطالبها شأن كثير من العلوم دون تعلّمها، ولا هي من العلوم العقلية التي يصِحُّ ألّا يلتفت إليها المؤمن. ولكنها مطالب نص عليها القرآن الكريم، وجعلها من العلوم التي ينبغي أن يتعلمها المرء من حامليها.

---

(١) التوبة: ٤٦.

# الحكم المنصوصة في كتاب الله

# الحكم المنصوصة في كتاب الله

## الحكمة الأولى

﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[1].

إن هذه الآية الكريمة تشير إلى أمرين يقوم بهما القرآن الكريم، وهما الهداية والبشارة، بياناً لا حصراً بالطبع كما هو واضح. فأمّا الأمر الأول ففيه ثلاثة: ﴿هَـذَا الْقُرْآنَ﴾، والهداية، و﴿الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

فـ ﴿هَـذَا الْقُرْآنَ﴾ قد يكون المقصود منه القرآن الكريم الموجود بين جلدتي المصحف وهو كتاب الله العزيز. وهذا هو الظاهر من الآية المباركة، ولا شبهة أنه كتاب هداية، ولكن اختصت هذه الآية لبيان هدايته ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، والكلام كله فيها.

وبداية الكلام أنّ ﴿أَقْوَمُ﴾ على وزن صيغة المفاضلة (أفعل)، بمعنى أقوم من شيء. وفيه:

**أولاً: المعنى المراد.**

**ثانياً: المفضول.**

فأمّا بالنسبة إلى المعنى المراد فبإعادة الكلمة إلى مصدرها وهو «ق وم»، وفي

---

(١) الإسراء: ٩.

المختار الصحاح: قوم الشيء تقويماً، فهو قويم أي مستقيم. وقولهم: ما أقومه، شاذّ. وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾[1] إنما أنثه؛ لأنه أراد الملة الحنيفية. والقوام ـ بالفتح ـ : العدل، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[2]، وقوام الرجل أيضاً: قامته وحسن طوله وقوام الأمر ـ بالكسر ـ نظامه وعماده، يقال: فلان قوام أهل بيته، وقيام أهل بيته، وهو الذي يقيم شأنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[3]. وقوام الأمر أيضاً: ملاكه الذي يقوم به، وقد يفتح، وقامة الانسان: قدّه، وجمعها: قامات وقيم﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[4] انتهى.

والظاهر أن ﴿أقوم﴾ هي من القيمومة والقوامة، وكلاهما مردّها إلى الاستقامة للنفس أو للغير، فيتبين أن ﴿أقوم﴾ هي بمعنى أكثر استقامة وتقويماً للغير.

وأمّا بالنسبة إلى المفضول، فبالنظر إلى ما قبلها من الآيات نجد الخطاب هنا مستأنفاً، وليس فيما سبق ما يمكن أن يكون المفضول بالنسبة إلى هذه الآية، فلا يبقى أمامنا إلّا إلبناء على إحدى اثنتين:

**أولها**: أن تكون صيغة التفضيل يقصد بها التعميم، بمعنى «أقوم من غيرها»، فتكون بهذا المعنى أنّ المراد منها كل ما عداها أي هذه التي هي أقوم، مما يمكن أن يشترك معها في هذه الصفة أي القوامية. أمّا الادّعاء بكون المفضول شيئاً بذاته كالملة الحنيفية أو غيرها، فلا يثبت إلّا بقرينة، وليس ثمة قرينة فلا دليل على هذا المدّعى.

**ثانيها**: أن يكون المقصود منها أقوم من القرآن نفسه، وفي كلا الاحتمالين يكون

---

(١) البيّنة: ٥.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) النساء: ٥.

(٤) الإسراء: ٩.

القرآن مفضولاً. ولولا حديث رسول الله ﷺ لوقعنا في الهلكة، فقد روي عنه ﷺ: «**هذا القرآن الصامت، وعليٌّ القرآن الناطق**».

وللتنبيه فإنه لو بدأت الآية دون اسم الإشارة ﴿هَـٰذَا﴾ لتمّ المعنى إذا كان القصد منها القرآن مطلقاً، ولكن ورودها في بدايتها قد يفيد مفهوماً إمكان وجود قرآنٍ آخر، وحديث رسول الله ﷺ أجاب عن ذلك.

وقد ذهب العلامة صاحب الميزان رحمه الله أن المراد من «**التي هي أقوم**» هو مّلة إبراهيم عليه السلام، فنقول: إن هذا المعنى وإن استحسنه العقل والفهم لكنه لا يعدو عن أن يكون فهماً شخصياً لا برهان عليه، بل إن سياق الآية المباركة ليس فيه ما يشير إلى ذلك. أمّا القرائن الخارجية من السنة المطهرة فقد دلّت على غيره، كما أنه وإن قبلناه فالجملة تامة دون ابتدائها بـ﴿هَـٰذَا﴾، فيلزم بيان المراد منه، ولم يتطرّق إليه (رضوان الله تعالى عليه).

وقد قيل فيها: إن المقصود منها الإمامة، وقال الفيض الكاشاني قدس سره في الصافي: «في الكافي عن الصادق عليه السلام: «**يهدي إلى الإمام عليه السلام**». والعياشي مقطوعاً مثله. وعن الباقر عليه السلام: «**يهدي إلى الولاية**». وفي المعاني عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده السجاد عليهم السلام: «**الإمام منا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها؛ ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً**». فقيل: ما معنى المعصوم؟ قال: «**هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**»...» انتهى.

ولا نجد شيئاً يمكن أن يكون كذلك غير الإمامة المعصومة المجعولة من قبل الله تعالى، فالإمامة هي الأقوم بعدّة أوجه، منها أن الإنسان إذا مات دون أن يعرف

إمام زمانه مات ميتة الجاهلية. فما قيمة أي عمل إذا مات الإنسان ميتة الجاهلية؟ ناهيك عن دلالة اسم الإشارة «هذا» في بداية الكلام.

ولا يقال: هذا تقليل من قدر كلام الله، أو توهين لكتاب الله؛ إذ لا يقول ذلك إلّا ضعيف لا يتأمل، فإنْ كان كتاب الله معصوماً من حيث أنه من كلام الله فإن المبلِّغ عنه والناطق به كذلك، فكما أن هذا كلامه فذاك الناقل له ومبينه، والذي أوجد هذا أوجد ذاك. وإنَّ الذي علِمْنا بإخباره عصمة هذا وكونه كلام الله الصامت هو الذي أخبرنا عن عصمة ذاك وكونه كلام الله الناطق. غاية ما في الأمر أن من لطف الله تبارك وتعالى أنه لم يكتفِ بإرسال كلام نتّبع كتابته، ولكن أشفعه ببشر سكنت فيهم علوم هذا الكتاب أجمعها فكانوا هم الناطق، حتى يكونوا أدلاّء على الله، نتأسى بهم، ويحدونا في سيرنا إليه، والحمد لله رب العالمين.

وقد وضع الله في فطرة الإنسان بما هو إنسان انبغاء معرفة الإمام، كما وضع في فطرته معرفة الخالق وتوحيده، بل قد يكون انبغاء الإمامة إلى النفس البشرية أجلى في الواقع البشري. ولذلك فإنه من غير الطبيعي أن تجد مجموعة لا يكون لها رأس أو رئيس (إمام)، وكل مجموعة في الواقع تريد أن يكون رأسها أفضل ما يمكن أن يكون عليه رأس، فلا مجموعة ولا دولة ولا إدارة بغير ربّان، فيا ترى هل يمكن أن يوجد الله تبارك وتعالى مثل هذا الانبغاء في فطرة البشر قاطبة، ثم لا يجعل لهم ذلك في الحقيقة.

أمّا في عصور الظهور فالأمر واضح بيّن، والإمام يمكن معرفته شخصاً بين الناس، وأمّا في عصر الغيبة الذي ابتلينا به فغاية ما نتمكن من معرفته بعقولنا وبأدواتنا التي في أيدينا هو اسمه ونسبه عنواناً، ولكن شخصه غائب عنّا مع أننا حضور بين يديه، فيرانا من حيث لا نراه، ويعرفنا من حيث لا نعرفه. وحيث إن

القرآن يهدي إلى الإمامة الربّانية، فينبغي على المؤمن التماس الهداية منه، ولا يكتفي بما يصل إليه من أخباره أو عنوانه. وقد يستشعر المؤمن باكتفائه بالتقليد للمجتهدين من جهة احتياجه إلى الأحكام الشرعية التي أرادها الله تبارك وتعالى، وأمر بها نبيّه فنقول له: هيهات .. هيهات؛ فالظن لا يغني عن الحق شيئاً وإن تفضّل علينا المولى بكرمه، وقبل منّا ما نحن عليه فقد أردفها ببيان أن أفضل الأعمال انتظار الفرج على لسان السنة المطهرة.

ولكن الهداية شيء والاهتداء شيء آخر، فكم من معلّم قدير لا يتمكن من تعليم طلابه؛ لبَلادَتهم أو ضعفهم، أو أي سبب آخر دون أن يكون عدم التعلم لسبب في المعلم أو نقص فيه. وعليه فينبغي ألّا تقنع أنفس المؤمنين بما في أيديهم، ويكون طلب الاهتداء إليه شاخصاً في أذهانهم، لا يغفلون عنه ولا يفترون عن الرغبة فيه.

ويأتي السؤال حينئذٍ:، فما نفعل إذا لم نهتدِ إلى الإمامة وإلى معرفة الإمام شخصياً؟ فجاءت الآية الكريمة لتقول: لا تبتئسوا؛ فإنه إن كان يهدي إليها فإنه كذلك يبشِّر المؤمنين ـ أي بالإمامة ـ والمريدين الاهتداء إلى الإمام، والذين يعملون الصالحات من الأعمال أن لهم أجراً كبيراً.

كما أن الإمامة هي المرادة بما هي إمامة؛ إذ ينبغي معرفة الإمام بما هو إمام، وليس بما هو بشر فحسب. وعليه فينبغي أن يظل المؤمن ماشياً برجلين، رجل الالتماس إلى الهداية إلى الإمامة في شخص الإمام عليه السلام بالقرآن الكريم بعد أن عرف عنوانه، ورِجل أخرى هي عمل الصالحات.

وخلاصة هذه الحكمة الربانية: اللجوء إلى القرآن لجوء المضطر لالتماس الهداية منه إلى معرفة الإمام. وهذا الاضطرار لا ينبغي معه الوقوف، فإذا لم ينل تلك الحظوة الكبرى فإن القرآن يبشر من يؤمن به وإن لم يعرفه المعرفة الشخصية إذا كان

يعمل الصالحات أن له أجراً كبيراً.

## الحكمة الثانية

﴿وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[1].

وهذه الآية معطوفة على سابقتها. وكأنها تبين أن هذا الإيمان بهداية القرآن وتبشيره حق، وعدم اهتداء البعض إلى إمامهم مع إيمانهم وعملهم الصالحات فإن الأجر الكبير الذي وُعدوا به ليس من الضروري حصوله أو بروزه في الحياة الدنيا، فالذين لا يؤمنون بالآخرة لهم عذاب أليم هناك.

ومع أن الإيمان بالآخرة بديهي عند المسلم ضرورة أن المسلم لا يكون مسلماً من غير هذا الإيمان، إلّا إن أثره في سلوك الإنسان ليس بمجرد الاعتقاد به عقلاً وذهناً كما لا يخفى. وهذا ما نجده بالفعل في الواقع الخارجي في تصرفات الكثير وسيرتهم؛ فإن الحكمة ليست في الإقرار بهذا الاعتقاد لساناً وذهناً، ولكن بوقوع لبِّه في قلب الإنسان من حيث ينعكس كمقدمة بديهية يبني عليها كل أعماله وأفعاله وتصرفاته.

فكما يقوم الإنسان بتدفئة جسمه قبل التعرض للبرد، أو يذهب إلى الجامعة للحصول على الشهادة التخصصية، أو ينظم الصرف من أمواله لكي لا يضطره الأمر إلى العوز، فإنه إن أصبح هذا الاعتقاد معرفة جازمة في قلبه فلابدّ أن ينعكس أثر ذلك في سلوكه وأعماله وتصرفاته. وبقدر ما يقرُّ هذا الفهم في لبابه يكون أثره و﴿مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الالبَابِ﴾[2].

وخلاصة هذه الحكمة البالغة: إن ذات عدم الإيمان بالآخرة مورث لعذابها

---

(١) الإسراء: ١٠.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

الأليم؛ فإن العذاب الأليم أعدّ لمن لا يؤمن بالآخرة دون لحاظ أعماله.

## الحكمة الثالثة

﴿وَيَدْعُو الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾[1].

هذا الموضوع من المواضيع التي يمكن أن يكون لها وجهان كما جاء في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ فإن الإنسان بدعائه بالخير قد يكون دعاؤه بالشر، وذلك بسبب هذه القريحة في نفسه. فكما أن عجلته تفيده بالسعي في طلب الخير وعدم تضييع الوقت، فإنه كذلك يستعجل في الحصول على مراده بسبب عجلته، ينقلب عليه شراً بالتراجع عن مسيره، ودخوله في الغفلة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى بسبب عجلته قد يطلب أموراً دون أن يتفطن إلى ما تحمله من شرّ له، وذلك كذلك؛ لكونه عجولاً.

فالعجلة عنده لها وجه حسن؛ ذلك أنه بعجلته يستطيع الاستفادة من الوقت لاكتساب الخيرات، ولولا ذلك لفاته الكثير من الخير. ووجه سيّئ؛ إذ بعجلته يريد أن يستوفي لذّات الآخرة في الدنيا، ويطلب الشرّ، ويغفل عن الخير؛ لعدم حصوله على نتائجه سريعاً.

خلاصة الحكمة في هذه الآية المباركة أن الإنسان عجول طبعاً، فينبغي أن يستفيد من هذا الطبع لطلب الخيرات، ولا يستعجل في استيفاء أجره فيثبط عزمه؛ فإن في الآخرة الأجر الكبير. كما لا ينبغي أن يوقع نفسه في طلب الشرّ باستعجاله، وعدم تفطنه.

---

(١) الإسراء: ١١.

## الحكمة الرابعة

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ إلى آخر الآية، قال في المجمع: مبصرة أي مضيئة منيرة نيرة، قال أبو عمرو: أراد: يبصر بها، كما يقال: ليل نائم وسر كاتم، وقال الكسائي: العرب تقول: أبصر النهار إذا أضاء». نقلناه عن الميزان انتهى.

خلاصة الحكمة في هذه الآية المباركة: إن الله تبارك وتعالى حيث أن الإنسان كان عجولاً، أعانه لحساب وقته وفرصته بوضع نظام الليل والنهار بجعلهما آيتين، وليس واحدة ليتمكن من الاستفادة من الوقت بملاحظة انقضاء زمن عمره؛ ليبتغي فضلاً من الله. وإن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

## الحكمة الخامسة

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾[2].

ولم نجد في هذه الآية ما يلزم بيانه منفصلاً، وقد قال الكاشاني رحمه الله: «﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ﴾: عمله وما قدر له، كأنه طير له من عش الغيب، ووكر القدر ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ لزوم الطوق في عنقه. العياشي عنهما عليهما السلام، والقمي قال: قدره الله الذي قدر عليه. والقمي عن الباقر عليه السلام: «خيره وشره معه حيث كان لا يستطيع فراقه

---

(١) الإسراء: ١٢.

(٢) الإسراء: ١٣.

حتى يعطى كتابه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بما عمل، ونخرج له يوم القيمة ﴿كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾ هي صحيفة عمله» انتهى.

وفي قراءةٍ «يُلقّاه» بضم الياء وتشديد القاف، بدلاً من ﴿ يَلْقَاهُ﴾ بفتح الياء. والظاهر عدم أثر اختلاف القراءتين في المراد نتيجةً وإن اختلف حالاً؛ فالذي يَلقى غير الذي يُلقّى كما هو واضح.

**خلاصة الحكمة في هذه الآية هي**: أيها الإنسان لا تأخذك الغفلة فتعبث، ولا تأسَ على ما فات، ولا تفرح بما آتاك، فكلاهما إلى زوال، أمّا يوم القيامة فلا محيص من وروده، وعملك مربوط بعنقك لا ينفك عنك، فاعتبر.

## الحكمة السادسة

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[1].

**خلاصة الحكمة في هذه الآية**: أيها الإنسان، سوف تكون أعمالك وأفعالك في يوم القيامة شاخصة ظاهرة، لن تتمكن حينها من إخفاء شيء أو إنكاره، فاحذر وحاسب نفسك الآن.

## الحكمة السابعة

﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2].

المهتدي هدايته لنفع نفسه، والضال ضلاله عليه لا له، فلا يحسبن أن المتع التي

---

(١) الإسراء: ١٤.

(٢) الإسراء: ١٥.

شغلته له؛ فإنها وإن بدت له كذلك، فهي عليه في الحقيقة. وفي الصافي: « اقرأ كتابك على إرادة القول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً. في المجمع والعياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: «**يذكّر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله في تلك الساعة؛ فلذلك قالوا: يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا إحصاها**» انتهى.

الوزر: من الثقل أو الحمل الثقيل، وقد يتخيل الإنسان أن إثماً يمكن أن يحمل إثماً آخر، فلا يؤاخذ عليه، ولكن الحقيقة أن كل إثم له حساب منفصل.

والله تبارك وتعالى لا يؤاخذ الناس ولا يعذِّبهم إلّا بعد إقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل (عليهم صلوات الله وسلامه وعلى نبينا وأهل بيته الطاهرين أزكى الصلاة والتسليم). والمؤاخذة والعذاب فيها، فيه أن المراد العذاب الدنيوي والدمار التام، كما هو المذكور في الآية المباركة اللاحقة أو أعم من ذلك، بحيث يشمل كذلك العذاب الأخروي. فعلى **الثاني**: فالذي لم تبلغه الرسالة لم يعاقب على عدم استجابته. وعلى **الأول**: فلا دلالة على ذلك بالخصوص في هذه الآية إلّا إذا أخذت الآيات اللاحقة كقرينة. وعلى كلٍ فقد ثبت أن الله تبارك وتعالى رفع العقاب عن الجاهل مع اتفاق علمائنا على توجه الواجبات إلى الأعم من العالم والجاهل.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: الاهتداء نفعه لك أيها الإنسان، والضلال ضرره عليك وإن بدا لك غير ذلك. ولا تتمادَ في المعصية؛ فإن لكل معصية وزراً. والله لا يعذِّب حتى يرسل رسله.

## الحكمة الثامنة

**﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا**

تَدْمِيراً﴾[١].

كثرت الأقوال في تفسير هذه الآية المباركة؛ إذ إن ظاهرها قد يوهم الغافل بمعانٍ لا تستقيم مع مقام الألوهية لله تبارك وتعالى. وأقرب المعاني إلى الظهور هو تفسيرها بقولنا: إن الله تبارك وتعالى يقول: إذا استشرى الفساد والانحطاط في قرية وفقد أمل إصلاحها إذ إن الله لم يخلق الخلق عبثاً، وهو أحنّ على خلقه منهم بأنفسهم، فوجب إبادتها فأراد الله تبارك وتعالى إهلاكها وجّه أوامره فيها إلى المترفين منهم وهم أقرب الناس لمحاربة الحق لالتهائهم باللذات الدنيوية، ووجدانهم القوة حسب تخيلهم للمحاربة، ففسقوا، وردوّا على الله، وحاربوا الأوامر الإلهية، ومعهم أهل قريتهم جميعاً، وبردّهم على الله استحقّوا قول الله بهلاكهم: ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾.

وحيث أن الوجه الذي نبحث فيه هو استخلاص الحكمة منها، فإنّ أغلب ما ذكر في تفسيرها لا يؤثر فيما نصبوا إليه ظاهراً، ولو كان كل ما أوتيه البشر من العلم قليل: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢]، فما عسى أن يكون مقدار ما نستطيع فهمه ثم بيان بعضه؟ ولله الحجة، ومنه المغفرة والعذر، وهو أكرم الأكرمين.

أورد اللغويون لمعنى التّرف وجهين:

**أحدهما**: التوسع في الرفاهية، أي النعومة والرغد.

**وثانيهما**: عدم المبالاة في الالتهاء وفعل ما ينبغي وما لا ينبغي.

وبهذا يحذرنا الله تبارك وتعالى من الترف؛ إذ أن الترف بذاته ركون في النفس

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) الإسراء: ٨٥.

وسبب للوهن في ابتغاء الحق. وما يمكن أن يؤدي ذلك إلى الضلال وإلقاء النفس في التهلكة. وقول الحبيب الأعظم ﷺ: «**اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم**» لخير منبِّه إلى ذلك. والله يريد للناس الخير والصلاح، ولا يريد لهم الهلكة. أمَّا إرادة الإهلاك التي وردت في المقام، فلا تكون إلّا إن لم يجد فيهم رغبة في الاهتداء، وعندئذٍ فإن الله تبارك وتعالى مع ذلك لا يدمّرهم مباشرةً إلّا بعد أن يقيم الحجة عليهم، فما أرحم ربنا سبحانه وتعالى وما أكرمه!

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: أيها الإنسان لا تدعنّ نعمة الدّنيا تغريك لتألف ترفها، فتتعلق بها فإن النفس لو أترفت صعب عليك مرانها على الحق وسهل وقوعك في شباك الشيطان.

## الحكمة التاسعة

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾[1].

ولقد أهلك الله تبارك وتعالى أمماً كثيرة من بعد نوح بعد أن أرسل إليهم الرسل فما استجابوا، ومن هنا نستشف بعض جوانب الرحمة الكبرى سيدنا محمد ﷺ على البشرية جمعاء؛ إذ كان ختمه للنبوة أمناً وأماناً للعالم من صورة الدّمار التي حلّت بالأمم السابقة كعادٍ وثمود وأصحاب الأيكة وقوم لوط وغيرهم. فبرسالة الخاتم ﷺ شملت رحمته ليس فقط أمّته أو الفسقة والظالمين من أمته فحسب، بل كل البشرية جمعاء، وأمهلهم الله تبارك وتعالى حتى يأذن لوليه بالحق بالخروج

---

(١) الإسراء: ١٧.

ليتوب من يتوب، ويصلح من يصلح، ويؤوب من يؤوب ثم تكون ﴿عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوءَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]؛ وحينئذٍ يبطل المبطلون.

وكفى بك أيها النبيﷺ مخاطباً بالأصالة والإنسان بالتبع أن تعلم أن الله خبير وبصير بذنوب عباده.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: أن كثيراً من الأمم دمرها الله تدميراً، أفلا يكفيك ذلك للاعتبار فترجع إليه سبحانه عن غيِّك؟ ثم لا تظن أن عصيان الناس خافٍ على الله؛ فإنه خبير به بصير، ويكفيك ذلك إن جاروا عليك، فعين الله ناظرةٌ إليك.

## الحكمة العاشرة

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً﴾[2].

من كان يريد المتع العاجلة الفانية، فإن الله هو الذي يعطي منها ما يشاء لمن يشاء قدر ما يشاء ولكنه في الآخرة الباقية لن يلقى إلّا جهنم، وسيصلاها ويصلها، تذمه نفسه ويذمه غيره، وليس فقط ذلك بل إنه حينئذٍ يكون محطمةً نفسه مدحورةً كرامته. و﴿مَّدْحُوراً﴾: من الدحر، وهو الطرد والبعد والخضوع.

والملاحظ في هذه الآية الإطلاق في جعل جهنم جزاء لمن أراد العاجلة. وقد يُتوهم أن يلزم من هذا وجوب الزهد المادي والرهبنة وصرف النظر عن كل

---

(١) الروم: ١٠.

(٢) الإسراء: ١٨.

مصاديق العاجلة، ولكن بالقرائن الكثيرة جداً من القرآن الكريم والسنة المطهرة علمنا عدم صدق هذا اللزوم. وبقرينة الآية اللاحقة يمكننا القول: إن هذا الإطلاق عموم مخصص يراد به إرادة العاجلة بما هي ضد إرادة الآخرة وبذلك يتضح المعنى.

ولكن الدنيا بما أباحها الله لعباده دون تأثير ذلك على رغبتهم في الآخرة؛ فليست هي المرادة من التقبيح؛ فقد قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]. وبهذا يتبين لنا أن زينة الله والطيبات أخرجها الله تبارك وتعالى في الحياة الدنيا لعباده الذين آمنوا خاصة. وفي الدنيا اشترك معهم سائر الناس بالتمتع بها، ولكنها في يوم القيامة خالصة للمؤمنين دون غيرهم. وتمتع المؤمنين بها في الحياة الدنيا لا مانع منه بشرط ألّا يكون تعلق منهم بالدنيا، ولا رغبة منهم في العاجلة عن الآخرة.

## ثلاث روايات في ذم الدنيا

وللتبرك وجلاء الغمامة ووضوح السبيل نأتي بثلاث روايات من الكافي الشريف من باب ذم الدنيا، فيها الترياق المجرب لمن أراد الله تبارك وتعالى له الخير كله في طهارة نفسه من حب الدنيا والتعلق بها:

١ـ عَلِيٌّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ الْعَلاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ عَلامَةَ الرَّاغِبِ فِي ثَوَابِ الآخِرَةِ زُهْدُهُ فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ،أَمَا إِنَّ زُهْدَ الزَّاهِدِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لا يَنْقُصُهُ مِمَّا قَسَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِيهَا وَإِنْ زَهِدَ، وَإِنَّ حِرْصَ الْحَرِيصِ عَلَى عَاجِلِ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لا يَزِيدُهُ

(١) الأعراف: ٣٢.

فِيهَا وَإِنْ حَرَصَ، فَالْمَغْبُونُ مَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الآخِرَةِ».

٢ـ عَلِيٌّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاسَانِيِّ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمِنْقَرِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ عَنْ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: «مَا مِنْ عَمَلٍ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الله جَلَّ وَعَزَّ وَمَعْرِفَةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله أَفْضَلَ مِنْ بُغْضِ الدُّنْيَا».

٣ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «فِيمَا نَاجَى الله عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مُوسَى عليه السلام: يَا مُوسَى لا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا رُكُونَ الظَّالِمِينَ وَرُكُونَ مَنِ اتَّخَذَهَا أَباً وَأُمّاً. يَا مُوسَى لَوْ وَكَلْتُكَ إِلَى نَفْسِكَ لِتَنْظُرَ لَهَا إِذَن لَغَلَبَ عَلَيْكَ حُبُّ الدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا. يَا مُوسَى نَافِسْ فِي الْخَيْرِ أَهْلَهُ، وَاسْتَبِقْهُمْ إليه؛ فَإِنَّ الْخَيْرَ كَاسْمِهِ، وَاتْرُكْ مِنَ الدُّنْيَا مَا بِكَ الْغِنَى عَنْهُ، وَلا تَنْظُرْ عَيْنُكَ إِلَى كُلِّ مَفْتُونٍ بِهَا وَمُوكَلٍ إِلَى نَفْسِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ فِتْنَةٍ بَدْؤُهَا حُبُّ الدُّنْيَا، وَلا تَغْبِطْ أَحَداً بِكَثْرَةِ الْمَالِ؛ فَإِنَّ مَعَ كَثْرَةِ الْمَالِ تَكْثُرُ الذُّنُوبُ لِوَاجِبِ الْحُقُوقِ، وَلا تَغْبِطَنَّ أَحَداً بِرِضَا النَّاسِ عَنْهُ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ الله رَاضٍ عَنْهُ، وَلا تَغْبِطَنَّ مَخْلُوقاً بِطَاعَةِ النَّاسِ لَهُ فَإِنَّ طَاعَةَ النَّاسِ لَهُ وَاتِّبَاعَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ هَلاكٌ لَهُ وَلِمَنِ اتَّبَعَهُ».

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: أيها الإنسان، لا تجعل مبتغاك العاجلة فإنك إن جعلته بغيتك فإنك لن تنال منها إلّا ما قسمه الله لك وسيكون مصيرك إلى الذم والطرد في جهنم.

## الحكمة الحادية عشرة

﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم

مَّشْكُوراً﴾[١].

## شرطا بلوغ الرضوان في الآخرة

لقد جعل الله تبارك وتعالى لمن أراد الآخرة شرطين:

١ـ **أن يسعى لها سعيها**، وإضافة الضمير المتّصل ﴿ها﴾ إلى السعي الثانية يفيد مفهوماً أن يكون الإنسان في سعيه ناظراً إلى الآخرة لا مجرد السعي. ولعل هذا هو المراد في وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري (رض) حين قال له: «**يا أبا ذر، إن استطعت ألّا تأكل ولا تشرب إلّا لله فافعل**». وإن كان في هذه الوصية الكمال إلّا إن إرادته مع عدم الوصول إليه خير من عدم الالتفات إليه البتة، فاستعن بالله ولا تعجز. وأدنى السعي الالتزام بما شرعه الله قدر المستطاع، ولقد يسّره الباري سبحانه وتعالى برأفته ورحمته إذ قال: ﴿**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً**﴾[٢]، وغير ذلك ممّا لا يخفى.

٢ـ **الإيمان**، وهو هنا وإن كان حسب مقتضى السياق الإيمانَ بالآخرة إلّا إنه لا يستقيم إلّا بضميمة بقية أفراد الإيمان التي بيّنها الله في كتابه المجيد، وعلى لسان السنة المطهرة للمعصومين (على سيدهم وعليهم أفضل الصلاة والتسليم).

خلاصة الحكمة في هذه الآية: إذا كنت راغباً في الآخرة، فاعلم أن ثمنها سعيك وإيمانك، فاحرص على ألّا تغفل عن ذلك، ولقد وعدك الله بالشكر عليه وإن كان هو المبتدئ بالإنعام، وهو أكثر بكثير مما تتوقع أو تأمل.

---

(١) الإسراء: ١٩.

(٢) النساء: ٣١.

## الحكمة الثانية عشرة

﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾[1].

إن العطاء الإلهي لا يختص بقوم دون قوم، ولا فئة دون فئة، ولا أناس دون أناس، بل إنه سبحانه وتعالى خلق الكل والكل عياله. كما أن المدد الربّاني مبذول للجميع، وليس محظوراً على أحد.

وهذا الأمر قد يتسبب في انطلاء الحيل على البعض للغفْلة، فيتصوَّر أن العطاء والمدد المقصود في هذه الآية هو العطاء المادّي. وهذا الفهم قاصر؛ إذ إن الإطلاق في كلا الموردين: المدد والعطاء عام لكل ما في هذه الدنيا، وأمّا الخارج منه فيخرج بدليل.

ومن الخارج منها معاجز الأنبياءعليهم السلام؛ فقد قيل فيها: إنها إعجاز بعد ادّعاء النبوة، فمن ادّعى النبوة وأتى بخارق كانت معجزة. وأمّا من أتى بخارق دون أن يدّعي النبوة فليس بمعجزة.

ولا يخفى أن الإتيان بالخوارق ليس بأمر مستحيل كما ثبت ذلك عن السحرة مع موسىعليه السلام، وما علّمه الملكان ببابل هاروت وماروت، وما يأتي به المرتاضون في الهند وفي أماكن أخرى.

فلا يحسبن أحد أن ظهور عطاء أو مدد ربّاني سواء كان من قبيل المال والسعة والجاه والملك، أو من قبيل السحر وظهور الخوارق وغيره دليلاً على الاستقامة وحسن العاقبة.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: أن العطاء والمدد الربّاني ليسا بدليل على رضا الله

---

(١) الإسراء: ٢٠.

سبحانه وتعالى وحسن العاقبة، فإنه مبذول للجميع.

## الحكمة الثالثة عشرة

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[1].

انظر أيها الإنسان درجات المفاضلة بين الناس في الحياة الدنيا، فمن فقير لا يجد ما يقتات به من أوساخ النّاس إلى ثريٍّ يمتلك النّاس. ومن رجل لا يستطيع أن يقضي حاجته إلّا بإذن سيده إلى ملكٍ يأتمر بأمره الملوك. ومن مجنون لا يفقه الفرق بين العذرة والبذرة إلى علماء أفذاذ إلى عباقرة تدين الأجيال لهم بالعلم والفهم إلى أنبياء يحتج بفهمهم أكابر الفلاسفة والفقهاء. ولكن مع تفاوت هذه الدرجات في الدنيا فإن تفاوت الدرجات في الآخرة أكبر وتفضيل البعض عن البعض فيها أكبر.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: أيها الإنسان لا يغرّنك تفاوت الدرجات في الدنيا وفضل فئة على فئة فإنه في الآخرة أكبر.

## الحكمة الرابعة عشرة

﴿لاَّ تَجْعَل مَعَ اللهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾[2].

أيها المؤمن بالله، لا تجعل مع الله إلهاً آخر؛ فليس ثمة إله غيره. وكلمة جعل ظاهرة في ابتداع الإنسان، لا تصوّره، وهو غير الشرك العقائدي. فإن الشرك العقائدي هو تصور الإنسان آلهة وتصديقه بوجودها، أمّا المراد الظاهر في هذه الآية

---

(١) الإسراء: ٢١.

(٢) الإسراء: ٢٢.

فهو الجعل الذي قد يشمل الرياء والسمعة أو نيل الجاه والكرامة عن الملوك أو حب المال لذاته أو غير ذلك.

وعليه فالمعنى: أيها المؤمن بالله، اعلم أن كل ما تعمله ينبغي أن يكون لله الذي خلقك ويملكك، وأمرك بيده، فلا تجعل لنفسك إلهاً آخر يكون رضاه مرادك في عملك. وهذا التعبير فيه كناية عن الرياء وطاعة المخلوق في معصية الخالق.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: اعلم أيها الإنسان إذا جعلت لنفسك إلهاً مع الله، فإن الله أغنى الشريكين، ولن يؤدي بك الحال إلّا إلى الملامة والخذلان، فما ثمّ إلهٌ آخر ليكافئك، فستخسر الدنيا والآخرة.

## الحكمة الخامسة عشرة

**﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُواْ إِلّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾**[1].

و﴿قَضَى﴾ هنا بمعنى حكم وأمر، من (يقضي قضاء)، أي أن حكم الله عليكم أيها المكلفون ألّا تعبدوا غير الله، لا بمعنى أنكم إذا أردتم أن تعبدوا فيجب أن تعبدوه هو دون غيره، ولكن بمعنى أنكم يجب أن تعبدوا الله ويجب ألّا تعبدوا غيره. وكذلك حكم عليكم أن تحسنوا إلى الوالدين، وإذا حضر أحدكم كبَرَ والديه أو أحدهما فينبغي ألّا يؤذيهما بكلامه، ولا ينهرهما، وعليه أن يخاطبهما دائماً بكلام كريم جميل.

والأمر العجيب فعلاً في هذه الآية المباركة هو جمع الله تبارك وتعالى هذين الحكمين في كلام واحد، ولا شبهة أن ورودهما جنباً إلى جنب من الدواعي التي

---

(١) الإسراء: ٢٣.

تؤكد أهمية الموضوع الثاني. ولكن السؤال الذي يحيِّر: لماذا؟ وقد يكون أوجَهَ توجيه لذلك هو تنبيه الله تبارك وتعالى للإنسان إلى عظمة نعمة الوجود التي أنعمها الباري سبحانه وتعالى عليه. فالوالدان أفاض الله عليهما أن جعلها علة وسيطة لوجودنا المادي في الحياة الدنيا وما أعقب ذلك من تربية وتحمل آلام وتمريض، فكان لهما هذا الفضل والإكرام. فما قيمة ذلك مقابل ما أنعم الله علينا مع أنهما ـ أي الوالدين ـ هما كذلك من نعم الله علينا. كما أن فيه كذلك أن تستشعر أيها الإنسان أن حنان الأم ورعاية الأب ما هي إلّا صورة مصغّرةٌ جداً من حنان الله تبارك وتعالى وحبه ورعايته لك.

ونحن لا نقول ذلك للتقليل من أهمية فضل الوالدين، بل لبيان عظيم فضل الله سبحانه وتعالى، أمّا الوالدان فلو أردنا استيفاء ما أوجبه الله بشأنهما، وما ورد في السنة المطهرة لاحتجنا إلى الكثير من الكلام والبحث، ولو لم تكن إلّا هذه الآية لثبت الحق العظيم الذي أوجبه الله لهما على الأولاد فما يمكن أن يكون أكثر من جعله سبحانه جنباً إلى جنب مع الأمر بعبادته.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: وجودك أيها الإنسان نعمة كبرى، فاعبد الذي أوجدك دون غيره، وأكرم والديك الذين كان وجودك في هذه الدنيا عن طريقهما؛ فإن كل حسن فيك منهما.

## الحكمة السادسة عشرة

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[1].

انظر إلى هذا الكلام الرائع، والجمال اللامتناهي في هذا الموضع، إن الله تبارك وتعالى بالنسبة إلى التعامل مع الوالدين لم يكتفِ بأن يأمر به شأن بقية الأمور، ولكنه

---

(١) الإسراء: ٢٤.

سبحانه عندما أتى إلى هذا الموضع ملأه بصور جمالية رائعة إذا أصغى إليها الإنسان بمسامع قلبه كانت هي لوحدها كافية أن تقلب حديد قلب العاقّ إلى الرقة والحنان.

اقرأ هذه الآية مراراً وتكراراً لتستشعر جمالها، وتشرب من معين حنانها، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة. آه يا رب، ما أجملك وما أحلاك وما أرأفك وما ألطفك وما أعلاك؛ إذ تتنزل إلى محالّ قلوبنا حتى تجعل قلب المؤمن بيتك.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: تذلل أيها الإنسان لمن كان وسيلة وجودك في هذه الدنيا، ولا تنس رحمتهما لك عند حاجتك إليهما في صغرك، وادعُ لهما، ولا يكن تذلّلك من علو، وليكن مفعماً بالرحمة. وإذا كنت قد شربت من حنان ورعاية والديك في صغرك فإنما هي صورة مصغرة من حنان الله تبارك وتعالى لك.

## الحكمة السابعة عشرة

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾[1].

يخبرنا الله تبارك وتعالى في هذه الآية المباركة أنه يعلم بما في نفوسنا، فإن كان قولنا الحسن وخطابنا الكريم للوالدين وتذللنا لهما فيه شيء من السوء أو الخطأ لأمر ثانوي آخر، فإن العبرة بما في النفس، والله يريد منّا صلاح أنفسنا، وإنه سبحانه وتعالى للأوابين غفور. وتفسير ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

وفي هذه الآية ثلاثة أمور ثم الغفران وهي حسب التالي:

---

(١) الإسراء: ٢٥.

(٢) لقمان: ١٥.

**١ـ علم الله بما في أنفس العباد**

أمّا علمه سبحانه وتعالى، فقد جاء في كثير من مواضع القرآن الكريم مما لا يخفى، وكذلك وعده بالمغفرة العامة والخاصة.

**٢ـ دعوته تعالى للأوبة**

أمّا الأوبة فهي وإن تقاربت مع التوبة إلّا إن التوبة تكون من الاقترافات، والأوبة تكون من حال البعد عن الله، فتأمل.

**٣ـ أمره جلّ شأنه بإصلاح الأنفس**

وحول صلاح الأنفس أو إصلاحها ورد في الشرع الحنيف ـ كما ذكر الفقهاء أيدهم الله بتوفيقه ـ أن سوء السريرة إن لم يعقبه عمل في الخارج فلا عقوبة عليه، فالحاسد الذي لم يقترف فعل سوء تجاه محسوده بالقول أو الفعل فلا عقوبة عليه، وإنما العقوبة على الأعمال الجوارحية. ولكن استحقاق العقوبة على عمل ما شيءٌ، ونجاسة القلب وفساده شيءٌ آخر، فالحاسد وإن لم يستحق عقوبة على حسده إذا لم يصدر عنه عمل محرم بذاته فإن قلبه لا شك ليس سليماً، ولا يقبل الله إلّا ممّن أتاه بقلب سليم، وهو قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[1]، وجاء في السنة المطهرة في الكافي باب الحسد عَنْ محمد بن يحيى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ وَالْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ جَرَّاحٍ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «**إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**».

لذا وجب الإشارة إلى هذا الأمر بعناية؛ ذلك أن الآية هنا اشترطت الصلاح بعد ذكر علم الله تبارك وتعالى بالأنفس. والمعنى: لو كان القول والتذلّل في الخارج

---

(١) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

مستحقاً للعقوبة فإن صلاح النفس جزء علة للمغفرة.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: من نعمة الله عليك أيها العبد اطّلاعه على باطن نفسك، فعد إليه؛ فإن صلحت نفسك فلا تبتئس فإنه غفور يغفر لك، ولو صدر منك لمرضاة والديك ما فيه شبهة رياء فمع وعيده للمرائين فإنه يغفر لك ذلك.

## الحكمة الثامنة عشرة

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾[1].

وانتقلت صيغة الكلام هنا إلى المفرد، ويظهر من ذلك توجيه الحديث إلى كل فرد بعينه، وذلك لكونه آكد بلحاظ أن العطاء المقصود في المقام ليس من المال العام، ولكن الخاص والذي يخص الأفراد بصفتهم أفراداً لا بصفتهم مجموعاً. وينبغي أن يفهم المؤتي أن الذي يدفعه حق عليه، كما أن ما يجنيه حق له، فالذي أجاز أن يكون له حق هو الذي يقضي بأن عليه حق.

وعطف النهي عن التبذير على هذا الأمر يرد له ثلاثة أوجه:

**أولها**: ما ذكره العياشي في تفسيره عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله جل وعلا: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾. قال: «من أنفق شيئا في غير طاعة الله فهو مبذر، ومن أنفق في سبيل الخير فهو مقتصد».

وقوله عليه السلام كما عن أبي بصير في الآية، قال: «**بذل الرجل ماله ويقعد ليس له مال**». قلت: فيكون تبذير في حلال؟ قال: «**نعم**».

وفي تفسير القمي: قال الصادق عليه السلام: «**المحسور العريان**».

وبالجمع بين الروايات الثلاث يكون المعنى أن المبذر هو الذي ينفق أمواله في

---

(١) الإسراء: ٢٦.

غير الإنفاق الراجح من الأوجه المباحة بحيث لا يبقى لديه منها شيء، ويقعد في حسرة.

**ثانيها**: أن الله سبحانه حيث أنه أمر بالإنفاق، نهى عنه في غير موضعه، وهذا الذي ذهب إليه المشهور من التفاسير، وفُسِّر التبذير بالإنفاق فيما لا وجه له، والإسراف في زيادة الإنفاق فيما له وجه.

**وثالثها**: كون المراد من المبذر هنا الذي يأكل حق ذي القربى والمسكين وابن السبيل، وينفقه كيف شاء. فالتبذير بهذا المعنى في عرض السرقة والغصب، فالغصب بالقوة والسرقة بالخفاء الذي يمكن تبيّنه، والتبذير بينه وبين الله. وهذا المعنى هو الأظهر للسياق والأقوى لا مقابل ما ذكرته الروايات، ولكن بالمعنى الثاني؛ لأن التبذير بالمعنى المتعارف فيه كثير من المشقة والحرج إذ أن الإنسان ـ خاصة من تفضل الله عليه بالفضل من المال ـ لا يتمكن من مراقبة كل تصرفاته المالية بتلك الدقة. خصوصاً مع تأليفه مع المباني التي ذكرتها الروايات المذكورة، فإن الذي يأكل حقوق هؤلاء، ثم ينفقها على أغراضه كيفما شاء، ويتلف ماله بحيث يبقى حاسراً عرياناً لأحق بأن يكون مبذراً.

وخلاصة الحكمة في هذه الأية: اعلم أن المال الذي بين يديك لم يكن مالك، ولن يكون غداً؛ فهو ملك لله خالصاً، والله الذي خوّلك حق هذه الملكية هو الذي فرض عليك حقوق ذي القربى والمسكين وابن السبيل؛ فادفع لهؤلاء حقوقهم، ولا تبذِّر تبذيراً.

## الحكمة التاسعة عشرة

**﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾**[1].

---

(١) الإسراء: ٢٧.

تشبيه ينفِّرك أيها الإنسان لتستعين به على مجاهدة نفسك، فاعمل على ألّا تكون أحد مصاديقه، فالمرء على دين خليله. فانظر من تخالل.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: اعلم أن المبذِّرين إخوان الشياطين، وأن الشيطان كفور، فاحذر من مثل هؤلاء، واحتط لنفسك حتّى لا تكون منهم.

## الحكمة العشرون

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾[1].

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾؛ سواء لعدم وجدانك ما تعطيهم، أو عدم ثبوت حق لهم عندك من الحقوق التي أوجبها الله لهم أو لأي سبب راجح أو مباح ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾ ترتجي به رحمة من ربِّك. أو يمكن القول: وإذا أعرضت عن إعطائهم؛ لعدم وجدانك ما تعطيهم متأملاً في رحمة الله أن تأتيك برزق لتعطيهم منه، فلا مانع، ولكن حينئذٍ عليك أن تقول لهم قولا ميسوراً.

والمعنى الأول أظهر؛ فإن الإعراض لا يمكن أن يكون علته رجاء الرحمة، وذلك لا يضرّ أن يرجو المؤمن سعة الرزق من الله تبارك وتعالى، والقول الميسور أرجى لرحمة الله.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: لا تردّ أصحاب الحاجة بغلظة؛ فإنك إن كنت ترجو رحمة الله تعالى، فارحمهم ولا تهنهم.

## الحكمة الحادية والعشرون

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً

---

(١) الإسراء: ٢٨.

﴿مَّحْسُوراً﴾[١].

قال سيدنا صاحب الميزان قدس سره: «قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ جعل اليد مغلولة إلى العنق كناية عن الإمساك، كمن لا يعطي ولا يهب شيئاً لبخله وشحّ نفسه. وبسط اليد كل البسط كناية عن إنفاق الإنسان كل ما في وُجده بحيث لا يبقي شيئاً، كمن يبسط يده كل البسط، بحيث لا يستقرّ عليها شيء. ففي الكلام نهي بالغ عن التفريط والإفراط في الإنفاق» انتهى.

وهذا غير التبذير كما جاء فيه، فإن التبذير في خصوص غير الإنفاق الراجح، أمّا هذه الآية المباركة فتشمل الراجح كذلك؛ وذلك أن إنفاق المرء كل ماله في سبيل الله ليس مبغوضاً في حدِّ ذاته وإنما بسبب ما يمكن أن يؤدي ذلك إلى محذورات أخرى، كأن يقعد ملوماً على عدم الاستجابة لحاجة شخص أو محتاج، أو لتسبب الفاقة والعوز لنفسه وعياله، أو غير ذلك ممّا يكون مؤدياً إلى طروِّ اللوم عليه؛ سواء من نفسه، أو من غيره، أو دخول حسرة في قلبه تتسبب في أن يقول: ليت وليت.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: إنّ ما خوّلك الله من مال أمانةٌ في يدك، فأدِّب نفسك على تنظيم شؤونها.

## الحكمة الثانية والعشرون

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾[٢].

إن الله ربنا يبسط (يوسِّع) الرزق لمن يشاء ويقدر (يضيِّق) على من يشاء؛ حيث

---

(١) الإسراء: ٢٩.

(٢) الإسراء: ٣٠.

إنه خبير بك أيها الإنسان، وبصير بأحوالك، ويعلم ما ينفعك وما يضرك.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: سعة الرزق وضيقه من تدبير الله بك؛ فلا تبتئس، واعلم أنه لا يسعك إلّا الرضا.

## الحكمة الثالثة والعشرون

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً﴾[1].

في هذه الآية المباركة تأكيد على أن الرازق هو الله، وقد ورد في بعض الروايات أن راعياً أتى إلى أحد الأنبياء شاكياً قلة المرعى وشحّ الماء، فقال له النبي عليه السلام: «**ائتِني بشاةٍ ليس لها فم**». فقال: ليس بينها ما ليس له فم. فقال: «**فالذي شقَّ أفواهها كفيل بملئها**».

وهذه الحياة طوال الدهر يأتي الناس ويذهبون، وكل منهم يحصل على نصيبه من الرزق. وفي الآية إشارةٌ إلى عادة جاهلية هي قتل الأولاد خشية الفقر، وهي غير عادة وأد البنات خشية العار والمذلة.

والله تبارك وتعالى يقول فيها: إنها خطيئةٌ كبيرة أي من الكبائر. والخطيئة غير الخطأ كما لا يخفى، فالخطيئة إصابة الخطأ عمداً مع قصده، والخطأ إصابة الخطأ مع قصد الصواب. والفعل من الخطيئة يخطأ بفتح الطاء، ومن الخطأ يخطئ مع كسر الطاء.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: أن الذي يرزق العباد هو الله تبارك وتعالى، وهو الذي يهب الحياة فلا موجب للخشية من الإملاق، وهو الفقر المدقع، فالذي خلق

---

(١) الإسراء: ٣١.

هو الذي يرزق.

## الحكمة الرابعة والعشرون

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾[1].

عجيب شدة نهي الله تبارك وتعالى عن هذا المنكر؛ فإنه تعالى منع من الاقتراب منه؛ لشدة قبحه وفساده. وبهذا فإن النهي في هذه الآية أعم من ذات الزنى ومقدماته، فتأمل. ومن رحمة الله سبحانه أن بيّن العلة من حيث كونه فاحشةً وسبيلاً سيئاً، والله أعلم بالمراد. ولولا أمره سبحانه لوقفنا، ولكنه سبحانه قال: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2].

في المختار الصحّاح: (ف ح ش): كل شيء جاوز حدّه، فهو فاحش، وقد فحش الأمر - بالضم ـ فحشاً، وتفاحش، وأفحش عليه في المنطق، أي قال الفحش فهو فحاش وتفحش في كلامه انتهى.

وفيه بيان أن هذه الخطيئة الكبيرة ليست خطيئة فحسب، بل إنها تجاوز للحد في الخروج عن الحرمة، ثم إنها سبيل سيّئ؛ فهي إن طلب بها الولد فهي سبيل سيّئ لطلب الولد، وإن طلب بها قضاء المتعة فهي سبيل سيّئ للمتعة، وهي سبيل سيّئ لبناء العلاقات الاجتماعية، كما أنه سبيل سيّئ بالذات في نفسه من حيث أنه يقود الإنسان إلى الهويّ إلى الأسفل، ولقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان للتسامي.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: ابتعد أيها الإنسان عن الزِّنى ومقدماته؛ فإنه يهوي بك، ولقد خلقك الله لتسمو.

---

(١) الإسراء: ٣٢.

(٢) النساء: ٨٢.

## الحكمة الخامسة والعشرون

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلّا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾[1].

ولقد جاء النهي عن قتل النفس في هذه الآية مقيّداً بالتي حرّم الله؛ إذ لو لم يقيّد لحرم أكل اللحوم وقتل الحشرات والهوامّ وكل شيء؛ فالحمد لله الذي أحل لنا الطيبات وحرّم علينا الخبائث. أمّا النفس التي حرّم الله فلقد جاءت هذه الآية لتنهى عن قتلها إلّا بالحق وهي الصور التي حددها الشرع الحنيف من الحدود والقصاص. ولقد شرّع الله تبارك وتعالى القصاص لولي الدم، ونصره بشرعه وسلطانه، فلا ينبغي له أن يعتدي على غير القاتل بالذات.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: أن من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، وللأنفس حرمة فلا تهتك إلّا بشرع الله وإذنه.

## الحكمة السادسة والعشرون

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[2].

إن الله تبارك وتعالى أوصى بالأيتام في مواضع متعددة من القرآن الكريم، واستنبط الفقهاء (أيدهم الله) بأدلتهم على كون أكل مال اليتيم من الكبائر التي أوعد الله عليها. ولا يخفى أن النهي عن الاقتراب أشد من النهي عن الإتيان.

كما أن الله تبارك وتعالى عطف عليه الأمر بالوفاء بالعهد تأكيداً، والظاهر منه

---

(١) الإسراء: ٣٣.

(٢) الإسراء: ٣٤.

النهي عن الاقتراب إلّا بالتي هي أحسن من جهتين:

أحدها: ذات الموضوع من حيث إنه مال اليتيم.

الثاني: من حيث أن التصرف فيه للأحسن بالمتاجرة أو ما أشبه من العهد، والمتعهد مسؤول عن عهده وعهدته. وقد يدل ذلك على عدم الضمان على المتعهد إن أتى بالتي هي أحسن مع عدم تحقق ذلك في الواقع باعتبار أن المسؤول عن العهد لا يضمن إلّا بالتفريط. وهو بحث فقهي لا نريد التعرض له.

ولكن المهم أن خصوص المورد لا يدل على تخصيص الوارد، فيظل إطلاق القاعدة في محله. فالعهد مسؤول عنه المتعهد، والوفاء لابدّ منه في أي عهد خلا ما ثبت أنه في معصية، أو أمر خرج بدليل.

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: احذر يا من تحملت إدارة مال اليتيم، وتوخّ فيه الأحسن، وأوفِ العهود فإنك مسؤول غداً.

## الحكمة السابعة والعشرون

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1]. الكيل والوزن معياران للبيوع، وهي معاملات انتقال البضائع بين الناس، فإن لم تسلم من البخس تهدمت أركان التعايش بينهم وزال الأمن. أما قوله تعالى: ﴿أحسن تأويلاً﴾ فقد قيل فيه: لأن الاستقامة أرشد لحياة الناس بينهم، وبإرجاع الكلمة إلى معناها اللغوي يظهر أن التأويل إعادة الأمر إلى الأول، ويمكن أن يفهم منه كأن معايير التعامل المستقيم هي المعايير الأولى بين الناس.

كما يمكن كذلك أن نفهم منه أن المراد بـ ﴿أَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾: أن الناس بطبعهم

---

(١) الإسراء: ٣٥.

يتأوّلون ما يجدون في أذهانهم، واستقامة التعامل بينهم تجعل تأويلهم تصرفات ما بينهم بالأحسن، فيقطع الطريق عن الشيطان في زرع الشكوك وسوء الظن بين الناس، فيعم الأمن والسلام والسلامة فيما بينهم.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: سيادة الإنصاف بين الناس خير لهم وأحسن تأويلاً.

## الحكمة الثامنة والعشرون

﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1].

﴿وَلاَ تَقْفُ﴾: من القفو (وهو من القفا. أي الظهر) أي المشي وراء ما ليس لك به علم. وهذا الكلام يحمل أكثر من دلالة؛ فهو يعني عدم اتباع ما ليس لك به علم، كما يعني كذلك عدم قول ما ليس لك به علم، ويعني كذلك عدم دخولك وتعرضك لما ليس لك به علم وإن بدا لك تشابه هذه المطالب إلّا إنّها وإن تشابهت إلّا إن لكلٍ خصوصية فتأمل.

ثم إذا كان اتّباعك ما لا علم لك به خطأً أو خطيئة، فلماذا يُسأل عن هذا الاتّباع السمع والبصر والفؤاد وهي ليست إلّا أدوات للسمع والبصر والفهم، وقد علمنا أنها شهود على الإنسان؟

ويمكن القول: إن سؤالها باعتبارها شهوداً لا باعتبارها المسؤول بما هو مساءل. ولكن الأظهر دلالة الآية على الوسائل التي يحصل بها العلم عند الإنسان باعتبارها شهوداً على ما يصل إليه من علم.

---

(١) الإسراء: ٣٦.

ولقد تحدث أهل التحقيق كثيراً في دلالة هذه الآية المباركة من حيث عدم جواز اتباع الإنسان لغير المعلوم له، ومن ثم استدلوا بمواضع أخرى من القرآن الكريم والسنة المطهرة والتحليل العقلي للسيرة العقلائية بتحقق العلم بالرجوع إلى العالم؛ سواء للتعلم، أو لمجرد الإتباع لما يعلم.

وخلاصة القول أن الله تبارك وتعالى قد أعطى الإنسان الأدوات التي يستطيع بالاستعانة بها من تحصيل العلم، وهي السمع والبصر والفؤاد، فينبغي عليه استعمالها وتعقل ما يقوم به.

و خلاصة الحكمة في هذه الآية: ايها الإنسان إن الله تبارك وتعالى قد أعطاك أدوات تحصيل العلم؛ فلا تتبع ما لا علم لك به، واستعملها؛ فأنت مسؤول غداً.

## الحكمة التاسعة والعشرون

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[1].

والمرح هنا بمعنى إظهار الزهو والخيلاء، ومثل هذا يصوره الله تبارك وتعالى بالأحمق الذي يظن أنه قادر على أن يخرق الأرض ويعلو فوق الجبال. وهو كناية عن التفاخر بالأموال والأنفس والثمرات، ولا شبهة أن الزهو والتفاخر بالعلم أقبح وأشنع. وهذا التعبير يشمل ما هو أعم من العجب والكبر، كما أنه أعم من حيث اشتماله على علة الزهو؛ كونها نتيجة المال أو الجاه أو العلم أو غيره، وأقبحها العلم؛ لما ورد في ذلك من السنة المطهرة إذا اعتبر العلم بما هو علم؛ وليس بما هو مقام. أمّا العالم الحقيقي فهو العامل بعلمه، ومثل هذا بعيد عن هذه الأمور كل البعد.

ولكن هذا الجانب بإطلاقه هو السيّئ الذي هو مكروه عند الله تبارك وتعالى،

---

(١) الإسراء: ٣٧.

ولكن بالإمكان أن يكون له وجه حسن كمشية الزهو والخيلاء التي كان يمشيها أمير المؤمنين عليه السلام أمام المشركين يوم الخندق، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، فقال: «**هذه مشية يحبها الله ورسوله في مثل هذا الموضع**» أو ما يخصص بدليل.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: أيها الإنسان لا تكن أحمقَ؛ فيأخذك الزهو والعجب.

## الحكمة الثلاثون

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾[1].

التوجيهات المذكورة يحتمل أن يكون لبعضها وجه حسن، والمكروه عند الله منها هو الوجه السيّئ. والمكروه هنا ليس باعتبار الاصطلاح المستعمل في علوم الفقه مقابل المستحب، ولكن المكروه هنا بمعنى المبغوض من الله تبارك وتعالى.

خلاصة الحكمة في هذه الآية: أيها الإنسان تفطن؛ فالله تبارك وتعالى أودع فيك ما تميز به السيّئ من الحسن، ولا تعرِّض نفسك لما يكرهه ويبغضه الله تبارك وتعالى.

## الحكمة الحادية والثلاثون

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2].

اتفقت سيرة العقلاء على وجوب شكر المنعم، فمن سقاك فأطعمه، فإن سقيته لم توفِّه حقه؛ فهو البادئ، وهي المكافأة التي تعارف عليها الناس في سيرتهم.

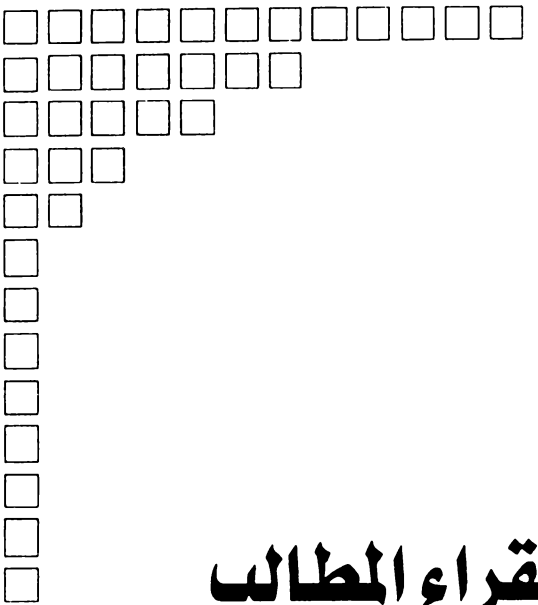
---

(١) الإسراء: ٣٨.

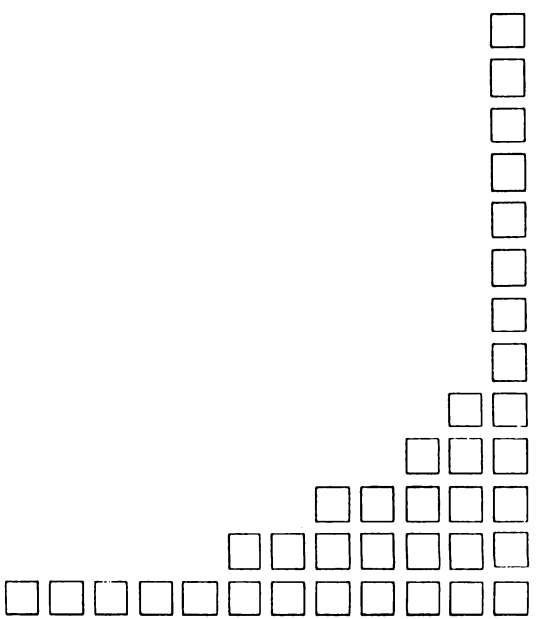
(٢) لقمان: ١٢.

ولكن من يستطيع أن يكافئ الله تعالى؟ إن إيصال النفع إليه منّا مستحيل ممتنع. وعليه فلابدّ أن نشكره بطاعته واتّباع أوامره، والانتهاء عن نواهيه لما ينفعنا، فلا يتخيلن أحد أن مثل هذا الشكر يمكن أن يكافئ المولى، فالذي يشكر في حقيقة الأمر فلنفسه؛ إذ هو المنتفع بشكره لله، والله تبارك وتعالى غني بذاته فلا يصل اليه النفع منه فكيف من غيره وحميد بذاته فلا يصل النفع من حمده الى نفسه فكيف من غيره إليه وقد ورد في دعاء عرفة لسيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة مولانا الإمام الحسين عليه السلام: «**إِلهِي أَنتَ الغَنِيُّ بِذاتِكَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ فَكَيْفَ لاتَكُونُ غَنِيّا عَنِّي**».

وخلاصة الحكمة في هذه الآية: أيها الإنسان، إن الله تبارك إذ أنعم عليك، وجب شكره عليك. وهو تعالى من كرمه جعل هذا الشكر الذي تشكره به عائداً بنفعه إليك، فغاية شكرك له بعد امتثال طاعته أن تستيقن بعجزك عن شكره، وهذا غاية الشكر.



# استقراء المطالب



## استقراء المطالب

بدراسة هذه النصوص القرآنية وما رافقها من السنة المطهرة قد ينشأ تصور عند القارئ أن الحكمة ملخصة في هذه المطالب المنصوصة، والتي اشتملت عليها. ولكن الحقيقة هي أن هذه المطالب شيء مما أوحاه الله تبارك وتعالى لنبيه من الحكمة، وليست كل ما أوحاه منها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً﴾[1].

إلاّ أن هذه المطالب من الحكمة فيها قواسم مشتركة وسنخية مشتركة، ووجود هذه السنخية المشتركة تعطينا السمة العامة، نستطيع من خلالها التعرف على ما يراد منّا تعلمه من الحكمة:

١ـ انتباه الإنسان من الغفلة، وتحققه بمراقبة الله تبارك وتعالى في كل حال.

٢ـ انتباه الإنسان وجعله الآخرةَ مبتغاه، وصرف اهتمامه عن الدنيا إلّا من حيث كونها مزرعةً للآخرة.

٣ـ كيفية التعامل بين الناس مع أنفسهم، ومع الغير، وإنصاف أصحاب الحقوق من أنفسهم.

٤ـ التمييز بين الحسن والقبح، والاحتراز من السيّئ؛ باعتباره مبغوضاً ومكروهاً عند الله تبارك وتعالى.

---

(١) الإسراء: ٣٩.

٥ـ التسامي بالنفس عن الأدران والقذارات الدنيوية.

وقد يختلط عند الإنسان كون هذه المطالب هي بذاتها بوجه أو بآخر الموجودة في تفاصيل الأحكام الفقهية وما يشتمل عليه من أمر ونهي أو غير ذلك من استحباب وكراهة وغيرها ممّا تشتمل عليه الرسائل الفقهية، بل كل ما في القرآن والسنة المطهرة. وهذا قد يكون صحيحاً من جهة أن جميع ما جاءت به الرسالات والسماوية، ولا سيّما رسالة نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله هو سبيل النجاة ودخول الجنان.

فأمّا الفقه فيبحث في الأحكام الشرعية التي تعنى بالواجبات والمستحبات التي يؤديها المسلم، والمحرمات والمكروهات التي يمتنع عنها، وقوانين التعامل بين المكلفين في الحقوق والواجبات؛ سواء باعتبارهم أفراداً، أو مؤسسات، ومن ثمَّ القضاء بينهم والقصاص والحدود وغير ذلك من التفاصيل المذكورة في كتب الفقه، وذلك من حيث حدودها وقوانينها ومقتضياتها.

وأماّ بقية الأمور الاعتقادية والتاريخية والأمثال وغيرها من العلوم التي تحويها الرسالة المحمدية الغرّاء، فإن كل علم ناظر إلى ما نزل من جهة معينة؛ ولذا فقد تم التفصيل في كتاب الله، فذكرت التزكية والكتاب والحكمة وما لم يكونوا يعلمون.

وأمّا الحكمة فناظرة إلى جهة زرع روح هذا السبيل إلى النجاة في نفس الإنسان، لتستيقظ في قلبه ملكات الإدراك والوعي والانجذاب إليه، كما يقول سيد الشهداء مولانا الإمام الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة: «**إلهي اسلك بي مسلك أهل الجذب**»، إضافةً إلى استيقاظ ملكة الفهم والعقل في المؤمن، ومن ثمَّ وزن الأمور واتخاذ الموقف الأفضل في كل ظرف يمرُّ به الإنسان.

فإذا توقد هذا الانجذاب في نفس الإنسان كان كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أخلص لله أربعين صباحاً جرت الحكمة من قلبه على لسانه**»، أو كما جاء في الكافي

الشريف في باب الإخلاص عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنِ السِّنْدِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**مَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ الإِيمَانَ بِالله عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ يَوْماً أَوْ قَالَ مَا أَجْمَلَ عَبْدٌ ذِكْرَ الله عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ يَوْماً إِلّا زَهَّدَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَبَصَّرَهُ دَاءَهَا وَدَوَاءَهَا فَأَثْبَتَ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ**».

وهذه المطالب دراستها بهذا اللحاظ ـ أي لحاظ إيقاظ القلب من غفلته حسب السنخية المشتركة التي ذكرناها من قبل ـ توجد هذا الأثر في نفس الإنسان لتكون الجوارح حين امتثالها لأوامر القلب متجهة بكلها إلى الغاية.

وتعلّم الحكمة هو الذي يزرع القيم والمبادئ السامية، والترفع عن القذارات الدنيوية في نفس الإنسان، والفقه يرسم له الشارع الذي يسلكه متى تمكنت الحكمة في قلبه. فالحكيم في تشرعه كالسفينة التي تحمل شراعاً قوياً ودقيقاً، تحركه أخف نسمة إلى الوجهة الصحيحة. أما لو كان الشراع ليس كذلك فإن الكثير من الرياح قد لا تكفيه، ومن هذا نفهم المراد من قوله صلى الله عليه وآله: «**ذرةٌ من أعمال القلوب كمثل الجبال من أعمال الجوارح**»، وكلما تمكنت الحكمة من قلب الإنسان كانت وجهته أصحّ وأدقّ؛ إذ إن أقصر الخطوط بين نقطتين هو الخط المستقيم.

وكذلك تلتقي الحكمة مع الأخلاق، والفرق بينهما أن الحكمة تلتمس الجهة، والأخلاق هي ظهور أثرها في تعامل الإنسان مع الله، ومع نفسه، ومع غيره.

## بارقة مولوية

ونأتي هنا بموضوع دخيل أصيل نجد له موقعاً هنا، وهو ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن قوماً عبدوا الله خوفاً من ناره فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله طمعاً في جنته فتلك عبادة التجار (أو الأُجراء)، وإن قوما عبدوا الله حباً (أو لأنهم وجدوه أهلاً للعبادة) فتلك عبادة الأحرار**». وقد قيل: إن مثل هذه العبادة

لا تكون إلّا لمثله عليه السلام؛ إذ كيف للإنسان أن يدّعي أنه لا يخاف من النار ولا يطمع في الجنة؟ ولكن الذي يقول مثل هذا الكلام لم يتمكن من فهم مراد الأمير عليه السلام. فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه المجيد: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]، فكيف بعد هذا يمكن أن يدّعي أي إنسان أو أي مخلوق أنه لا يخاف الله أو لا يخاف عقاب الله، خاصة لو كان عالماً، بل باب مدينة العلم كعليٍّ عليه السلام؟

إنما الظاهر في كلامه عليه السلام ليس هذا، ولكن إشارته عليه السلام إلى تمكن حب الله والمعرفة به في قلوب الأحرار، وسريان روح تلك المحبة والمعرفة في أعماق نفوسهم وقلوبهم؛ لتكون هي الباعثة والمحركة لجوارحهم وجوانحهم إلى عبادة الله تبارك وتعالى. فهم وحالهم تلك ليس لا يخشون الله و لا يخشون ناره، كما أنهم ليس شأنهم أنهم لا يطمعون في الجنة ولا يطمعون في نعيم الله، ولكن الغلبة في قلوبهم للحب والمعرفة، فهم يعبدون الله حباً له ومعرفة منهم أنه أهل للعبادة. وهذا ما ينبغي أن يسعى إليه من كانت همته عالية.

ومثَل هذا مثل رجل له ثلاثة أولاد، وله تجارة، وقد عزم على أن يعطي كل واحد منهم قسماً من تجارته. ولكنه يعلم باختلاف طبائعهم، وأحب أن يتعلموا عمله ويتقنوه قبل أن يقوم بتقسيمها بينهم كما قرر. فأخبرهم بما نوى عليه من توزيع ثروته، وتوعّد المتخلف منهم بالأذى لخوفه عليه من الضياع. فاستجاب الثلاثة، فأحدهم غلبت عليه الرغبة في الامتلاك وطمع في الثروة، والآخر خاف من الأذى، والثالث شغله حب أبيه ورغبته في طاعته. فجميعهم متأمل للعطية وجميعهم يخاف من الأذى ولكن غلب على كل أحد منهم ما كان المحرك المؤثر في امتثاله.

---

(١) فاطر: ٢٨.

وقد جاء في الكافي الشريف (على جامعه آلاف التحيات والرحمة) في باب الخوف والرجاء روايته: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ أَوْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا كَانَ فِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ؟ قَالَ عليه السلام: «**كَانَ فِيهَا الأعَاجِيبُ، وَكَانَ أَعْجَبَ مَا كَانَ فِيهَا أَنْ قَالَ لابْنِهِ: خَفِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خِيفَةً لَوْ جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَيْنِ لَعَذَّبَكَ، وَارْجُ اللهَ رَجَاءً لَوْ جِئْتَهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَحِمَكَ**». ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «**كَانَ أَبِي يَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلّا فِي قَلْبِهِ نُورَانِ: نُورُ خِيفَةٍ، وَنُورُ رَجَاءٍ، لَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا، وَلَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا**».

# الحاجة إلى الحكمة

## الحاجة إلى الحكمة

وها هنا نأتي إلى الحاجة إلى الحكمة بما هي الحكمة حسب التعبير القرآني ومباني استقراء المطالب المذكورة للحكمة في الآيات التي استعرضناها. إن الحاجة إلى الحكمة لا نستطيع أن نتحدث فيها عبر بيان جهة ضرورتها من عدمها، فورودها في كتاب الله العزيز بهذه الكثرة لخير دليل على أهميتها البالغة، بل ضرورتها لكونها جزءاً من رسالة النبيﷺ، فما عسانا أن نقول بعد ذلك؟ ولكن ما نستطيع أن نتحدث فيه هو وجوه حاجتها لعامة المسلمين من جهة، ولخاصة الدعاة والمبلغين منهم من جهة أخرى:

**أمّا عامة المسلمين**، فإننا في واقع تتأرجح فيه القيم والمثل في مجتمعاتنا بشكل لم يسبق له مثيل قبل الآن حسب ما نقرؤه في التاريخ، فقد شنَّ الشيطان حربه مستخدماً فيها كل ما أوتي من قوة ووسائل، بل استخدم ما في أيدي البشر الذين استعبدهم بعد أن عبدوه، ليزرع سمومه ونقيعه لا في المفاسد الواقعية فحسب، بل أصبح يلوي ما في أيدي الناس من منافع لتؤدي بهم إلى المفاسد دون المنافع الواقعية التي أودعها الله فيها.

وللتوضيح نقول: من يشك أن صلاة الجمعة شرِّعت لتجمع الكلمة على عبادة الله، وطرد الشيطان؟ وها نحن نرى أنها غدت تعقد لعبادة الشيطان دون عبادة الرحمن. والقصاص شرِّع لتقوم به الحياة، فأصبح قتل الناس من غير جرم قصاصاً كما يحدث في كثير من بلادنا. وها نحن نجد أن أعداد الحجاج في تزايد مستمر،

والمساجد في ارتفاع مستمر وإقبال الناس على الشعائر في تزايد ولكننا نجد مسلمين بدون إسلام، وإسلاماً بدون قيم، ونجد شعائر لا مشاعر فيها. أليس حرمة المؤمن عند الله أكبر من حرمة الكعبة؟ وهل يا ترى نرى ذلك في الواقع أو شيئاً منه؟

وفي مثل هذه الحال لا شك أن الحكمة توقظ القلوب، وتخرج الإنسان من الغفلة، فتنقلب عنده الشعائر إلى مشاعر، وتنقدح في قلبه الجهة لتشرعه فتؤتي شجرة الشريعة الغرّاء والأحكام الفقهية ثمارها، وتظهر معالم الأخلاق الطاهرة على الإنسان، إذ يقول سيد الكائناتﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». كما لا يخفى أن الإنسان لبنة في أسرته، وهي لبنة في المجتمع، وهكذا، فإصلاح نفس الإنسان غايةٌ في نفسه، وفي الوقت نفسه غاية وسيطةٌ لغاية أكبر.

وأمّا الدعاة والمبلِّغين، فإنّنا نرى أن تعلّم الحكمة واجب شرعاً (ونقصد بالوجوب هنا: الوجوب الاعتباري الأدبي، أمّا الوجوب التكليفي فهو شأن المراجع العظام أن يفتوا فيه)، وأمر لابدّ منه للدّاعية قبل تعرّضه للدعوة؛ فإن فاقد الشيء لا يعطيه، وذلك لعدة وجوه:

١ـ بالرجوع إلى الآية الكريمة: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]، والأمر هنا للنبيﷺ بالأصالة وللدعاة بالتبعية نجد أن ظاهر الآية أن النبيﷺ مكلف بالدعوة إلى سبيل الله تبارك وتعالى، ومتعلق التكليف هو الدعوة، ومادته الحكمة والموعظة الحسنة. أمّا التكليف في

---

(١) النحل: ١٢٥.

الآية وإن كان مختصاً بهﷺ فإن المادة مناطها المتعلق وإن قام به غيرهﷺ. بمعنى أنه مادة الدعوة للمبلغ هي الحكمة والموعظة الحسنة، فمن لم يعلمها لم يصح له التصدّي للدعوة إلى سبيل الله.

٢ـ وبالرجوع إلى الآية المباركة: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، نجد أن الدعاة هنا مأمورون بالتفقه في الدين قبل الإنذار، وحيث إن الحكمة من علوم الدين التي يعلّمها رسول اللهﷺ فلابدّ لطالب العلم من تعلّم الحكمة إذا أراد أن يتصدّى للدعوة.

وحاجة الناس إلى الحكمة تكون حسب التقريب الذي ذكرناه في موضعه، فإن لم يكن القائم بالدعوة قد تفقّه فيها، فكيف يمكنه أن يبثّها ويدعو بها؟

إن الرسائل الفقهية لمراجعنا العظام (أيدهم الله تعالى) تتولّى أمر بيان الأحكام الشرعية، ويبذل فيها هؤلاء الأعلام جهدهم، ويتصدّون لتحمل العبء الكبير والجهد الجهيد عن الناس ليوصلوا إليهم ما يحتاجون إلى معرفته مما شرعه الله تعالى، فجزاهم الله عنّا خير الجزاء. ولكن هناك معادلات كثيرة يحتاج إليها المؤمن في حياته الواقعية مما لا يمكن لهذه الرسائل أن تتعرض لها بالتفصيل والبيان، أو يكون لبعضها بيان ولكن يخفى على المتشرع تطبيقه على الواقع.

في الكافي: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهعليه السلام: «**آفَةُ الدِّينِ الْحَسَدُ وَالْعُجْبُ وَالْفَخْرُ**».

---

(١) التوبة: ١٢٢.

وفيه: عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبَانٍ عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ: تَقَبَّضْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، رُبَّمَا حَزِنْتُ مِنْ غَيْرِ مُصِيبَةٍ تُصِيبُنِي، أَوْ أَمْرٍ يَنْزِلُ بِي حَتَّى يَعْرِفَ ذَلِكَ أَهْلِي فِي وَجْهِي وَصَدِيقِي؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ يَا جَابِرُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ طِينَةِ الْجِنَانِ وَأَجْرَى فِيهِمْ مِنْ رِيحِ رُوحِهِ؛ فَلِذَلِكَ الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَإِذَا أَصَابَ رُوحاً مِنْ تِلْكَ الأَرْوَاحِ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ حُزْنٌ حَزِنَتْ هَذِهِ لأَنَّهَا مِنْهَا**».

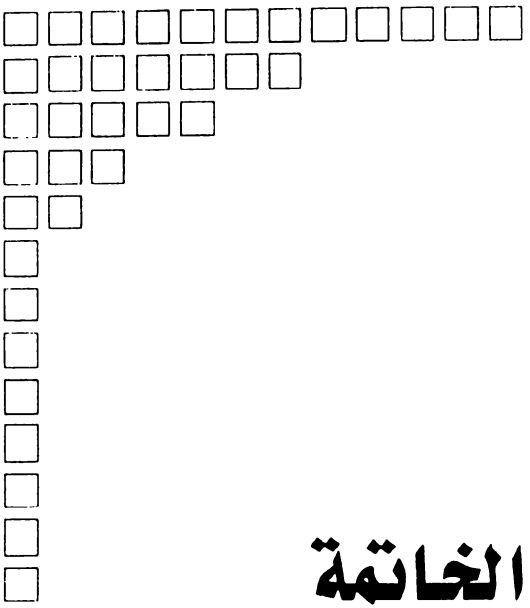
وفيه كذلك: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُكَرِّهُوا عِبَادَةَ اللهِ إِلَى عِبَادِ اللهِ، فَتَكُونُوا كَالرَّاكِبِ الْمُنْبَتِّ الَّذِي لا سَفَراً قَطَعَ، وَلا ظَهْراً أَبْقَى**».

هذه الروايات التي ذكرناها عبارة عن أمثلة لما يحتاج إليه المؤمن من إيجاد ميزان في قلبه للتمييز. وإن كان عامة الناس محتاجين لهذا الفهم والعقل، فإن الدعاة أحوج منهم إليه، بل إن الدعاة لا ينبغي لهم أن يتصدّوا للدعوة إلّا بعد أن يتعلموا الحكمة أو مبادئها على الأقلّ.

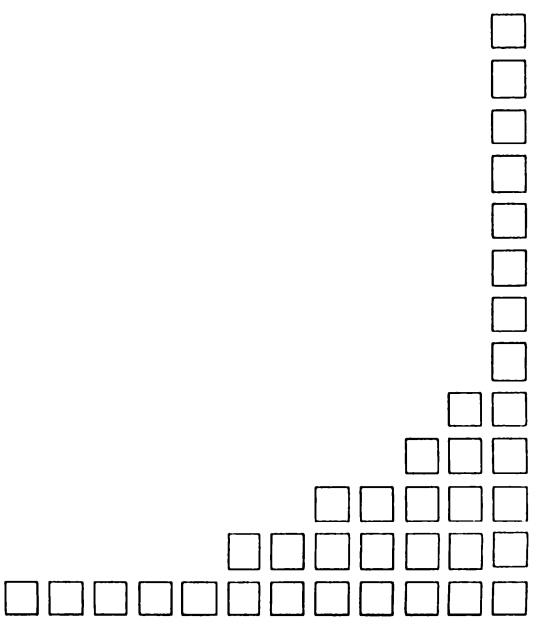
ومن الواضح أن الحقوق والواجبات الشرعية هي حدود للتعامل بين الناس يلجؤون إليها عند الاختلاف. وهناك مساحة شاسعة للناس يقضون فيها أمورهم دون اللجوء إليها، ولا شك أن الدين لم يضع هذه المساحة دونما إرشاد أو توجيه، وهذه المساحة للحكمة فيها الدور الأكبر مما تستقيم به حياة الناس.

ولا شك ولا شبهة في حاجة طالب العلم إلى تعلّم الحكمة قبل تعرضه للدعوة، وعدم ذلك اقتفاءٌ لما لا علم له به وإن حفظ المسائل الفقهية. فالحكمة هي السبيل،

وهي المادة التي تمكّن الداعي من فهم دقائق المسائل الفقهية، وهي المادة التي من خلالها تتّضح معالم الأخلاق وتتبيّن المفاسد والمصالح، وهي التي تعين على معرفة ميزان استخدام الاحتياطات، ورفع الحرج ودفع الضرر والتعرف على العرف.



# الخاتمة



# الخاتمة

إن الحكمة غريبة عن الواقع كغربة الحكماء، وأحاط بها سدّان شديدان منيعان يمنعان الناس من الاقتراب منها:

**أمّا السد الأول فهو سدّ التهويل**، وهو سدّ يتخذ من الروايات والآيات الدالة عليها حجاباً يصوِّر للناس أن الحكمة لا يستطيع أحد الحصول عليها أو تعلمها؛ لما عليها من هالة الوقار والحشمة، ولما للحكماء من قدسية وتعظيم. فطالب علم الحكمة كطالب العنقاء لا يتجشم من السعي إليها إلّا إلعناء. وكأن الحكمة التي يذكّر بها الله تبارك وتعالى ليست لنا، بل لقوم آخرين لا نعلم من هم.

**وأمّا السد الثاني فهو سدّ الفهم**، وهو نتيجة لما تسبب من استعمال هذا اللفظ في غير المراد به من القرآن الكريم، فانجرف الطالب للحكمة إلى تكلف العلوم النظرية العقلية الدقيّة؛ فمن مشتغل بتلك العلوم على أنها الحكمة، ومن تارك للحكمة على أنها تلك العلوم التي لا يستسيغها إدراكه وفهمه لمختلف الأسباب السليمة منها والعقيمة. وكأن الحكمة قد اختصّ بها الله تبارك لأولئك الذين يمتلكون عقلية دقيقة تتمكن من التدقيق في المعادلات العقلية والبراهين النظرية.

**والسدّ الأول نهدمه بمعول التذكير** بأن الحكمة لو لم تكن علماً يخص جميع المسلمين لما وجدنا كل هذه الآيات التي تؤكد أن رسول الله ﷺ يعلم الحكمة أو علّمها، وجرى الكلام بما يكفي في هذا الباب.

والسدّ الثاني بأن نقول: لقد تبين ممّا تقدّم المراد بالحكمة في كتاب الله، ثم تبين كذلك أنها قريبة من فهم عامة الناس وليس خاصتهم فحسب.

نعم لا يُتوقع من عامة الناس تعلّمها ودراستها والتبحر فيها، ولكن إذا تعلمها الدعاة إلى الله تعالى بثّوها بين الناس، وعلّموها إيّاهم، والدعوة إلى الله شطرها وشرطها الحكمة.

كما أن الحكمة وإن كانت علماً ومعرفةً ولكن أثرها في سلوك الإنسان هو المراد، وغاية ما يمكن القول في ذلك أن تعلم الحكمة وإن كان واجباً إلّا إنه لا يكفي ليكون المرء حكيماً. فتعلم الحكمة شيء وانقلابها روحاً يجري في دم الإنسان فينطبع سلوكه وجوارحه وجوانحه ولسانه بها شيء آخر، وكلاهما مؤسس للآخر.

ثمّ إننا في هذه الدراسة المختصرة تعرضنا للتدبر في الآيات المباركات من سورة الإسراء وسورة لقمان لاستخلاص أوجه الحكمة فيها لبيان المراد من الحكمة في كلام الله وليس من جهة دراسة الحكمة فيها، فلا يتصور أحد أن هذا التعرض للحكمة هو المطلوب في تعلّم الحكمة لمن أرادها، ولكنها أمر ينبغي البحث عنه في مظانّه من الكتاب والسنة المطهرة.

وعلى كل حال فممّا لا شبهة فيه ولا شك أن الحكمة بذاتها شيء، لكن ما هي؟ فإن كانت علماً أمكن تعلّمه، وإن كانت فناً أو صنعة فالفنون والصناعات قابليات وتعلم، وإن كانت معرفةً فالمعرفة شأنها التعلم كذلك. من جهة أخرى فإن كان عموم الناس ليسوا مدعوين إليها كان ذكرها لهم لغواً، وهو محال في حضرة الباري سبحانه وتعالى، والدعوة بها شرط كما نصت الآية. فإذن هي شرط لها، وهو المطلوب.

والجهل كل الجهل أن يعلم العالم ما ينبغي عليه تعلّمه ثم يصرف وجهه عنه، أمّا الدعاة فشأنهم أشدّ؛ إذ هم لا يحملون مسؤولية أنفسهم فحسب، وإنما يحملون مسؤولية من يضع فيهم ثقته، ويتّخذهم علماً ودليلاً يستدلّ به على مراد الله تبارك وتعالى منه.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن تكون هناك دراسات للتمهيد؛ لتنظيم هذا العلم بصورة مهذبة ومنسقة تمكّن الراغب في تعلّمها من دراستها ومذاكرة مطالبها، وتحويل هذا العلم إلى علم دراسي ممنهج يستقي منه المؤمن مبادئ دينه جنباً إلى جنب مع بقية العلوم الدينية، لعل ذلك يكون سبباً في تكوين مجتمعات حكيمة، وليس حكماء فحسب، ولعلّ الذي أبطأ عنّي هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور.

وهنا تمّ تحرير الكلام، وإنهاء المقال تبرّكاً بمولد حكيم الحكماء، وباب الحوائج إلى السماء، حجة الله على أرضه، النور الزاهر والشمس المضيئة، السجين المظلوم إمامنا وسيدنا ومولانا الإمام موسى بن جعفر (عليه أفضل الصلاة والسلام) في السابع من صفر من عام ١٤٣٢ للهجرة الشريفة، على هاجرها وأهل بيته الطاهرين آلاف الصلوات والتسليم، في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدّسة (سلام الله على ساكنتها سيدتنا المعصومة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام).

كما تم انهاء تنسيق الرسالة واعدادها بالشكل النهائي يوم العيد الأكبر، وهو عيد ميلاد سيد العرب والعجم، بل سيد كل من لله عليه سيادة، سيدنا ومولانا حضرة حبيب الله المصطفى ورسوله المختار محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب عليه وآله الصلاة والسلام عدد الحصى والنوى في السابع عشر من شهر ربيع الأول من نفس العام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله من وراء القصد، ومنه المغفرة والتوفيق

صنفه: العبد الفقير المسكين حيدر بن موسى بن خميس فيض الله اللواتي العماني

الحوزة العلمية ـ قم المقدسة ـ إيران

# المحتويات


**مقدمة المؤلف** ..... ٩
**المقدمة** ..... ١٥
أولاً: تلاوة الآيات ..... ١٥
ثانياً: المراد من التزكية ..... ١٦
ثالثاً: المراد من تعليم الكتاب ..... ١٧
رابعاً: معنى قوله تعالى: ﴿ما لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ ..... ١٨
خامساً: تعليم الحكمة ..... ١٨
**الحكمة** ..... ٢٣
**الحكمة في القرآن الكريم** ..... ٢٧
**بين الفلسفة والحكمة** ..... ٤٣
مراتب معرفة الله ..... ٤٨
سبل المعرفة ..... ٤٨
الثالثة: العرفان ..... ٥١
**مواضيع الحكمة** ..... ٥٩
**إجمال المطالب** ..... ٦٧
استنتاج ..... ٧٠
**فصل في كلمة (ذلك)** ..... ٧٥
**فصل في ضرورة التعلم** ..... ٨١
**الحكم المنصوصة في كتاب الله** ..... ٨٧
الحكمة الأولى ..... ٨٧
الحكمة الثانية ..... ٩٢
الحكمة الثالثة ..... ٩٣
الحكمة الرابعة ..... ٩٤
الحكمة الخامسة ..... ٩٤
الحكمة السادسة ..... ٩٥
الحكمة السابعة ..... ٩٥
الحكمة الثامنة ..... ٩٦